الشيخ صالح الحصيِّن رَحِمَهُ اللَّهُ
نادرة زمانه وفريد عصره

تأليف
د.محمد بن فهد بن عبد العزيز الفريح
عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء

(هذا المؤلَّف واقع في الملك العام، فلكل أحد إعادة طبعه ونشره وترجمته)

من عبارات الشيخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ

الشيخ صالح الحصيِّن رَحِمَهُ اللَّهُ
نادرةَ زمانه وفريد عصره

مقدمة

الشيخ سعد الحصين حفظه الله

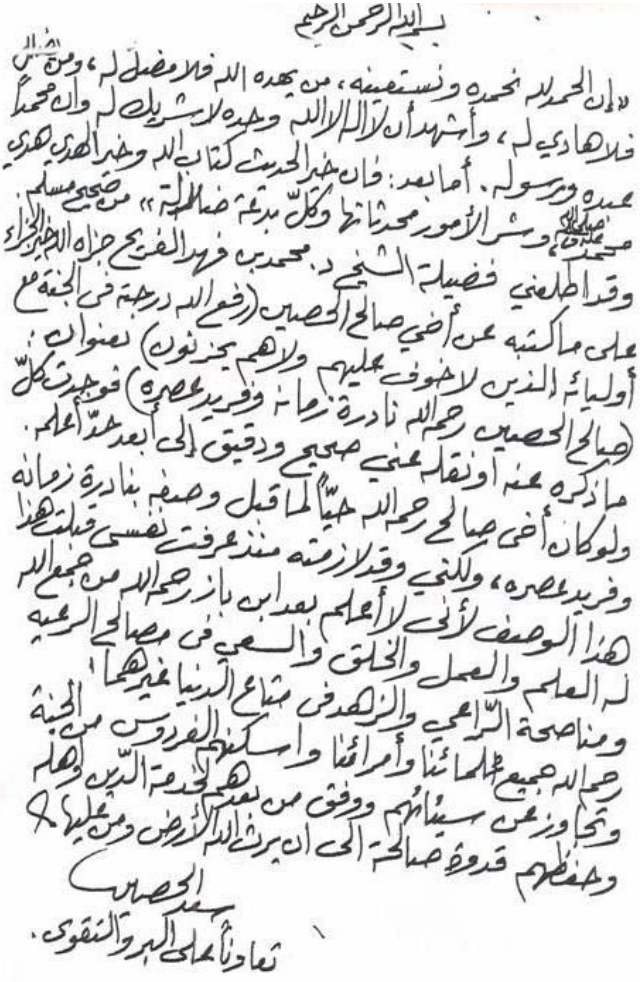
بسم الله الرحمن الرحيم

«إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» من صحيح مسلم.

وقد أطلعني فضيلة الشيخ د. محمد بن فهد الفريح جزاه الله خيراً الجزاء على ما كتبه عن أخي صالح الحصين (رفع الله درجته في الجنة مع أولياءه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) بعنوان (صالح الحصين رحمه الله نادرة زمانه وفريد عصره) فوجدت كل ما ذكره عنه أو نقل عني صحيح ودقيق إلى أبعد حدّ أعلم.

ولو كان أخي صالح رحمه الله حياً لما قبل وصفه بنادرة زمانه وفريد عصره، ولكني وقد لازمته منذ عرفت نفسي طلبت هذا الوصف لأني لا أعلم بعد ابن باز رحمه الله من جمع الله له العلم والعمل والخلق والسعي في مصالح الرعية ومناصحة الراعي والزهد في متاع الدنيا غيرهما.

رحم الله جميع علمائنا وأمرائنا وأسكنهم الفردوس من الجنة وتجاوز عن سيئاتهم ووفق من بعدهم لخدمة الدين وأهله وحفظهم قدوة صالحة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

سعد الحصين

تعاوناً على البر والتقوى.

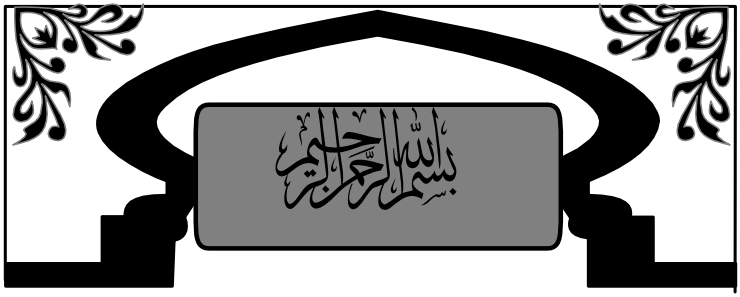

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، **أما بعد:**

فإن من فضل الله وحده أن جعل في هذه الأمة قدوات كبار، وعلماء جبال، علموا وعملوا وعلَّموا ونصحوا وبيَّنوا وأرشدوا وظهر جميل أثرهم على الناس.

وفي هذا الزمان الذي طغت فيه الماديات بشتى صورها، وانتشرت فيه الملهيات بصنوفها، وزاد فيه الإقبال على الدنيا حتى كاد يُنسى الموت والقدوم على الله فكان من رحمة الله بنا أن جعل بيننا علماء صادقين، وأئمة ناصحين أهل دين وورع، وأهل صلاح وعمل، وأهل زهد وثبات على الحق.

وقد صاحبتُ ولازمتُ جملة من علماء السنة الذين أحسبهم والله حسيبهم ولا أزكي عليه أحدًا أنهم من خيرة أهل هذا الزمان إن لم يكونوا هم السادة الذين يقتدى بهم.

وكان ممن أحببته في الله عالم عابد زاهد ورع،

مجتهد في العلم والعمل، والدعوة والإصلاح، باذل لوقته وماله ونفسه وجاهه، لا يعرف عنه أنه آذى أحدًا، ولا أنه استغل منصبًا، ولا اشتغل بما لا يعنيه، كان مقبلًا على أبواب الخير، بل كان يقول: (إذا أغلق في وجهك باب من أبواب الخير فافتح بابًا آخر)، لم يترك عملًا متعديًا نفعه للإسلام والمسلمين إلا واجتهد فيه بنفسه وماله وجاهه إلى آخر أيامه.

ما عاشره أحد إلا أحبه، نادر جنسه، هاضم لحق نفسه، عجيب أمره، غريب خبره، لو لم أره بعيني، وأدركه بنفسي لأنكرتُ ما ينقل عنه!

لم أبالغ أيها القارئ الكريم في حرف واحد ؛ لأنك ـ غفر الله لك ـ سوف تقرأ ما يُذْهِلك من صفاته، خاصة إذا نظرتَ إلى أهل زمانه!

كما أنه سيبعدك عن هذه الدنيا الزائفة لتشاركه في قصته وحكايته بما يُروى عنه.

وهو أحد الرجال القلائل الذين أثَّروا في شخصيتي.

هذا القدوة ليس مغمورًا حتى تقول لا يعرفه أحد! فلجأ إلى الزهد والورع والإقبال على الآخرة.

هذا الشيخ ليس فقيرًا حتى يقال سلك طريق الزهد اضطرارًا، بل أقبلت عليه الدنيا فانصرف عنها.

أتعلم أيها الكريم أن شيخنا عُيِّن وزيرًا وعضوًا في مجلس الوزراء وهو دون الأربعين!

هل تعلم أنه كان رئيسًا عامًا لشؤون أعظم بقعتين في العالم لمدة تقرب من اثنتي عشرة سنة؟

هل بلغك أنه الرئيس الأول لهيئة التأديب، والمشرف على شعبة الخبراء؟

هل بلغك أنه كان عضوًا في المجلس الأعلى للجامعات، ومجالس عدد من الجامعات؟

هل تدري أنه كان عضوًا بهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، كما أنه الرئيس الأول لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني؟

قال عنه الشيخ عبد الله البسام ـ رحمهما الله ـ : (صار وزيرًا مفوضًا، وهو عضو في مجالس جامعات المملكة العربية السعودية، وعضو في ديوان الخدمة المدنية..)[1].

ومع تلك المناصب كلها تراه تاركًا للدنيا مع إقبالها عليه، يختفي منها وهي تلاحقه!

ذلك هو الشيخ العالم العابد الزاهد العامل ذو التواضع أبو عبد الله صالح بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٧٤).

عبد الرحمن بن عبد الرحمن ـ أيضًا ـ ابن محمد بن عبد الله ابن محمد بن أحمد بن محمد ـ الملقب الحصيِّن ـ ابن ماجد الناصري العمري التميمي ـ غفر الله لهم ورحمهم ـ[١].

وحين توفي رَحِمَهُ اللَّهُ كتبتُ بعض ما رأيته أو سمعته منه أو حدثني به الشيخ سعد الأخ الشقيق للشيخ صالح ـ غفر الله لهما ـ ونُشِرَ في مقال[٢] ثم بدا لي أن يُطبع حفظًا له من الضياع، مع زيادة لبعض الأمور والحوادث التي لم أكتبها في المقال، لعل ذلك يكون كاشفًا لبعض الجوانب الخفية في ذلكم الكنز المفقود!

ختامًا.. أشكر الشيخ المفضال الكريم الزاهد الوقور العابد سعد الحصين ـ غفر الله له ـ لقراءته هذه الكتابة المختصرة[٣] وتصحيحاته وإضافاته، وجزاه الله عني خير الجزاء وأوفاه.

---

(١) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون للبسام (٣/ ٧٢).

(٢) نشر في صحيفة الجزيرة العدد ١٤٨٣٢ يوم الأربعاء ٢٨/ ٦/ ١٤٣٤هـ.

(٣) حقيقة إني لفي حياء أن تكون هذه الكتابة المتواضعة جدًا مسطرة في مثل تلكم القامة العلمية العملية؛ لكن عزائي أن بعض ما يوجد فيها قد لا يعلمه أكثر الناس حتى بعض الأقربين منه.
قال أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري غفر الله له: (بالأمس فقدنا الجبهة العلمية ذا السيرة العجيبة في الورع والحصافة، وهو الشيخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، وكنت أَسْتَمِخُّ ذاكرتي لأكتب عن تعزيته =

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد بن فهد بن عبد العزيز الفريح

= ذكريات قليلة جدًا كنت فيها راويًا عنه مباشرة، وذكرياتٍ كثيرةً من المناقب تُروى عنه، وكنت أُريد التثبُّت منها من لسانه، ولكنه رَحِمَهُ اللَّهُ يموج عن الإدلاء فيها بصراحة... ولكنَّ تعزية الدكتور الفريح له في هذه الجريدة بصفحة كاملة صرفتني عن المشاركة؛ فلن تَرْمُقَ عينٌ تعزيتي بعد إفاضته؛ فهل الدكتور الفريح هو صاحب (عِطْرِ العَرُوس!!)). من مقال له بعنوان: (بل أوردتها يا سعد)، منشور في جريدة الجزيرة بعدد (١٤٨٣٩).

الشيخ صالح الحصين
نادرة زمانه وفريد عصره

من أين أبدأ! سأبدأ من عام ١٣٥١هـ حيث ولد بشقراء العالم المربي الزاهد الورع الفقيه.

تربى في كنف والده الزاهد العابد الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر المحتسب قبل وجود الهيئات بثلاثين سنة الشيخ عبد الرحمن[١].

(١) كان يلقب (بأبي الفقراء... وكان صاحب طاعة وعبادة، وبُعْدٍ عما لا يعنيه من الأمور، وكان لطيفًا بشوشًا، كريم النفس، سمحًا سهلاً...، انتقل إلى المدينة وجاور فيها، وصار مكانه المفضل في كل الفروض خلف الإمام في المسجد النبوي الشريف... لا يترك النصح والتوجيه والإرشاد في الحرم الشريف، الذي يكثر فيه العامة الجهال الذين يأتون فيه بأنواع من البدع والغلو والمخالفات الشرعية، فله سهم وافر من النصح لهؤلاء، ولكنه ينصح ويرشد بالحكمة والموعظة الحسنة، ولذا لم يحصل له أي مشكلة طوال هذه المدة) من كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٧٣و٧٤)، حدثني الشيخ سعد غفر الله له أن والده رَحِمَهُ اللَّهُ يذهب كل سبت إلى مسجد قُباء ماشيًا ثم يعود راكبًا؛ لما ورد عن النبي ﷺ أنه كان يمشي إلى =

درس العالم الزاهد في المدرسة الابتدائية بشقراء، وكان مديرها في ذلك الوقت الشيخ عبد المجيد الجبرتي رَحِمَهُ اللَّهُ الذي أصبح إمامًا للمسجد النبوي بعد ذلك وكان قاضي تمييز وعضو هيئة كبار العلماء.

بعد أن أخذ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بضع سنوات في الدراسة الابتدائية بشقراء التحق بدار التوحيد عام ١٣٦٤هـ أول

= قباء أحيانًا ويركب أحيانًا، وكان يختم القرآن كل ثلاث ليال، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو في كامل قواه عند باب المسجد النبوي في شهر شعبان عام ١٣٨٦هـ ودفن بالبقيع.

قال أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري: (آل الحصيِّن شجرة مباركة: وارفة الظِّلال، شهيَّة الثمار.. ومنهم الشيخ عبد الرحمن الحصين وذريته جعل الله كل الخير إرثًا في أعقابهم، وقد أدركته رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى رئيسًا لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (رئيس النواب بالعرف العامي آنذاك) بشقراء، وله ثلاث ميزات لم أجدها مجتمعةً عند غيره: أولاها الاجتهاد في العبادة ولا سيما نوافل الصلاة، وثانيتها القيام بالاحتساب في غير عمله الوظيفي؛ فهو يفتح دُكانًا لا للتجارة، بل ليكتب التوثيقات الجديدة، وينسخ القديمة مَجَّانًا، ويوزِّع الأوراق على المحتاجين، ويسمونها (فروخًا)، وهي أوراق صفر تجد في ظهرها آثارًا من ورق الشجر الذي صُنعت منه تبدو على استحياء.. وثالثتها ذكاء ودهاء خارق يُلْجِمه وَرَعُه.. ومات رَحِمَهُ اللَّهُ ميتة حسنة؛ إذْ وقع عند باب المسجد النبوي لمَّا نزل به الحق مُتَلَبِّثًا بالعبادة، وهي بشرى نَفْرح بها... ولعل تعبُّده وابتهاله أدرك ذريته وحفدته؛ فكانوا أسرةً مَغْبوطَةً مُحسَّدة..) من مقال له بعنوان: (بل أوردتها يا سعد)منشور في جريدة الجزيرة بعدد (١٤٨٣٩).

عام وجدتْ فيه، وحصل فيها على الشهادة الابتدائية ثم المتوسطة ثم الثانوية ثم التحق بكلية الشريعة بمكة عام **١٣٦٩**هـ أول عام وُجدتْ فيه، وفي السنة الثالثة من الكلية طُلب للتدريس بالمعهد العلمي بالرياض فصار مدرسًا وطالبا في الوقت نفسه فكان يُدِّرس فإذا جاء وقت الاختبار ذهب إليه، حدثني بعض من زامله في الكلية أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان يأتي إليهم في محل إقامتهم بمكة ويطَّلع على المنهج المطلوب للاختبار وهو جالس القرفصاء فيمر على المنهج المطلوب على وجه السرعة ثم يدخل الاختبار ويأخذ الأول عليهم!

كان من طلابه في المعهد الشيخ المحدث عبد المحسن العباد، وكان الشيخ عبد المحسن يقول للشيخ صالح: أنت شيخي، درستني بالمعهد العلمي بالرياض كما حدثني الشيخ عبد المحسن بذلك.

حدثني معالي الشيخ محمد الشويعر ـ غفر الله له ـ أنه كان يتعلم الكتابة قبل التحاقه بالمدرسة فيكتب بعض الكلمات فتكون أول الكتابة في أول السطر من أعلى الصفحة ولا يتم السطر الأول إلا في أسفل الصفحة! فرآه مرة الشيخ صالح فقال له: ما شاء الله لعلك ترْفده بخشيبة!

والشيخ محمد ممن درَّسه الشيخ صالح في المعهد العلمي بالرياض.

وكان من زملائه في التدريس في المعهد جملة من العلماء منهم عبد الله الغديان رَحِمَهُ اللَّهُ، قرأ الشيخ صالح ما كتبتُه عن الشيخ عبد الله بن غديان في مقال نُشِر في الصحافة فلما أتيتُه بعده بمدة قال: لقد نبهتني إلى أمور عن الشيخ عبد الله ـ الله يرحمه ـ عجيبة لم أكن أعرفها، كنت قد زاملته لمدة في معهد الرياض العلمي.

لما أصيب الشيخ عبد الله الغديان رَحِمَهُ اللَّهُ بالحادث ذهبتُ بالشيخ صالح لزيارته ففرح الشيخ عبد الله بالشيخ صالح وأجلسه على سريره حتى أنه من فرحه بالشيخ صالح وحيث كنتُ سببًا في الإتيان به إليه، أمسك يدي وشدَّ عليها وقال: من عباد الله من هو مفتاح للخير مغلاق للشر وأنت منهم بإذن الله.

قال لي الشيخ عبد الله الغديان رَحِمَهُ اللَّهُ: لقد أُوتي الشيخ صالح والشيخ سعد ذكاء مفرطًا وفراسة لا يعرفها أكثر الناس عنهما وكانا لا يظهران ذلك، ولو انصرفا للعلم انصرافًا كليًّا لما فاقهما أحد بعد توفيق الله.

بعد أن تخرج الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من كلية الشريعة عام

١٣٧٤هـ وحصل على المركز الأول ذهب إلى مصر (مع توفر الوظائف وكثرتها خاصة لمن يحصل على ما حصل عليه رَحِمَهُ اللَّهُ انصرف عنها) قال الشيخ سعد: (الأخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ ذهب إلى مصر للدراسة تاركًا الوظيفة رغم عدم رضا الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وتنازل عن نصف الراتب الذي يستحقه الموظف المبتعث للدراسة).

التحق في مصر بمعهد الدراسات العربية العالية، وتتلمذ على عبد الرزاق السنهوري (أستاذ القانون) الذي كان له دور بارز في افتتاح ذلك المعهد.

أخبر الشيخ صالح عن نفسه بأنه: (تتلمذ على الأستاذ السنهوري لمدة سنتين في مادة الفقه المقارن ... واشترك في الجلسة الأسبوعية التي ظل الأستاذ السنهوري يعقدها طوال تلك المدة باسم حلقة بحث، ويقصر حضورها على بضعة طلاب لبحث موضوعات في الفقه المقارن بطريق المناقشة الحرة) «خاطرات حول المصرفية الإسلامية ص٦٠».

قال لي الشيخ: كنتُ أحضر جلسات السنهوري وكان لا يعرفني، وبعد جلسات معدودة دخل ووزع علينا ورقة اختبار لينظر في مستوى الحاضرين، وكنتُ لست كبقية الحاضرين الذين أمضوا مدة في الحضور فهذه من

أوائل جلساتي عنده ولم أكن أمضيتُ عنده مدة بعد، فاستحييتُ وأخذت ورقة الاختبار وأجبت عن الأسئلة فلما جاء الدرس القادم قال: أين صاحب هذه الإجابة فرفعت يدي على استحياء فأثنى على الإجابة بشكل ملفت! وبعدها كان يخصني بمزيد عناية جزاه الله خيرًا.

قال الدكتور يوسف القرضاوي ـ أصلح الله حالنا وحاله ـ في مذكراته: (وكان يدرس في معهد الدراسات العربية العالية عدد من أبناء البلاد العربية النابهين المتميزين، بعضهم كانوا مبعوثين من بلدانهم، منهم: ... الشاب المتألق صالح الحصين في قسم القانون، وهو مبعوث من المملكة السعودية (معالي الأستاذ صالح الحصين بعد ذلك). وكان الدكتور السنهوري معنيًّا به، راجيًا أن يكون له شأن في المملكة، وقد كان).

كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من أعلم الناس بالأنظمة والقانون بل ذكر بعضهم أنه الرجل الثالث في العالم العربي والإسلامي.

وفي ظني ـ وبعض الظن ليس بإثم ـ أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قد فاق أستاذه السنهوري في الأنظمة وإيجاد البدائل الشرعية[1]، وللشيخ صالح استدراكات على أستاذه

(١) أما علم الشريعة فالشيخ قد درسه دراسة مستفيضة ودرَّسه.

السنهوري في خاطرات حول المصرفية الإسلامية ص٥٩ وما بعدها، وقد كتب الشيخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ بضعة أسطر قبل وفاته بأشهر عن أستاذه السنهوري.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قد دَرَس الشريعة سنوات ثم دَرَس القانون والأنظمة فهذه ميزة تميز بها عمن درس الأنظمة والقانون فقط(١).

كان الشيخ صالح العلي الناصر رَحِمَهُ اللَّهُ يشهد للشيخ صالح الحصين على مسمع من طلاب المعهد العلمي بالرياض بغزارة علمه وفضله ويقول: إن الشيخ صالح الحصين بحد ذاته مكتبة متنقلة(٢).

---

(١) قال أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري غفر الله له: (في آخر زيارة له بصحبة الدكتور محمد الفريح اهتبلتُ سعةَ صدره لأسأله عن صلته بإمام القانون عبد الرزاق السنهوري، وما تواتر من اعترافه بأن صالح الحصين ثالث رجل قانون في العالم الإسلامي، فذكر لي صلته الحميمة بالسنهوري، وأنه لا يذكر شيئًا من شهادته له بذلك الإطلاق.. ومنهجه كمنهج السنهوري أو أزكى في جعله ميزة القانون الوضعي لا مُجْمَله خادمًا الشَّرْعَ؛ بأن يكون دليلًا ترجيحيًا عند اختلاف الفقهاء، وأن يُفاد من مُنْجَزاته لمعالجة الوقائع المستجدَّة..) من مقال: (بل أوردتها يا سعد) نشر في جريدة الجزيرة في العدد (١٤٨٣٩).

(٢) من مقال د حمد بن محمد الفريان نشر في جريدة الجزيرة ١٦/ ٧/ ١٤٣٤هـ العدد (١٤٨٥٠).

جاء عن السنهوري أنه لما طلبه أحد المسؤولين بالمملكة لأجل نظام معيَّن قال له: (كيف تطلبني وعندكم أفضل رجل تخرج من قسم القانون عندنا) يعني الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

بعد أن أمضى ما يقارب خمس سنوات أخذ الماجستير وكان عنوان بحثه «تصرف الفضولي»، وقد أطال مدة دراسته في مصر رغبة منه حتى يتمكن من قراءة ما يستطيع قراءته من الكتب، حدثني الشيخ سعد عن أخيه ـ غفر الله لها ـ قائلًا: كان شغوفًا جدًا بالقراءة فقد قرأ أكثر كتب مكتبة الأزهر ودار الكتب، وما يعرضه تجار الكتب المستعملة على سور حديقة الأزبكية.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن الشيخ صالح: (درس على بعض قضاة شقراء ثم التحق بالدراسة النظامية، حتى تخرَّج من كلية الشريعة بمكة، ثم حصل على شهادة الماجستير من مصر في بعض المسائل الفقهية)[1].

بعد رجوعه عمل مستشارًا قانونيًّا في وزارة المالية ليس بطلب منه بل بعض زملائه ألحّ عليه وأخذ ملفه!

(١) تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان ص٤١.

كان للشيخ اجتهاد في وضع بعض الأنظمة كنظام الصندوق العقاري كما كان العضو الأبرز في المشاركة في وضع أكثر الأنظمة في ذلك الوقت كنظام الشورى وغيره.

كان يقول لي: لا أذكر البتة أني طلبتُ وظيفة من الوظائف وكل الوظائف التي تقلَّدتها وعيّنتُ فيها هي في الحقيقة غصب عني وإكراه أدبي! من بداية أَخْذي من مقاعد الدراسة بكلية الشريعة لأكون مدرسًا في المعهد العلمي إلى آخر الوظائف!

صدر قرار تعيينه رئيسًا لهيئة التأديب في عام ١٣٩١هـ.

ولم يُعيَّن في منصب وزير في عهد الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ إلا كُرْهًا!

قضى ثلاث سنوات يحاول التخلص من الوظيفة حتى شفع له الأمير مساعد بن عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ، ولما طال عليه الزمن (سنتان) طلب إعفاءه من مهمات الاستقبال والتوديع والمآدب الرسمية فأعفي منها، فزاده ذلك عزًّا! فكان الملك خالد رَحِمَهُ اللَّهُ يستشيره ويسأله عن وزراء الوزارة الأولى بعد وفاة الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ فيثني على من تم اختيارهم بقوله: فيهم بركة إن شاء الله.

أمر الملك فهد رَحِمَهُ اللَّهُ بتخصيص مكتب له للاستشارة في رئاسة مجلس الوزراء وسيارة وسائق بعد تركه العمل فلم ير المكتب، ولا رأى السيارة ولا السائق إلا نادرًا عندما يُدعى للاستشارة فيجد السيارة والسائق بانتظاره في المطار، وكان لا يكلف الدولة انتدابًا ولا تذكرة سفر.

لما صدر قرار تعيينه اتصل أحد وجهاء شقراء على والدة الشيخ يبارك لها في تعيينه، فقالت: الله يخلف على هذه الدولة ولدي صالح لا يصلح إلا إمام مسجد وأخوه سعد المؤذن وعبد الله[1] الفرَّاش!

وبعد تعيينه استخفى الشيخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ عن المهنئين له بالمنصب في بيت أحد أقاربه؛ لئلا يظن أنه كان محتفلًا بالمنصب.

حدثني الشيخ عبد المحسن العباد ـ غفر الله له ـ أنهم كانوا في اجتماع بالجامعة الإسلامية حين كان نائبًا لمديرها قبل سنة ١٤٠٠هـ وكان من أعضاء الاجتماع الشيخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ فلما انتهوا منه كتب أمين الاجتماع في المحضر اسم الشيخ صالح مصدرًا اسمه بلفظ (معالي الشيخ) فأخذ

(١) وزير المياه والكهرباء.

الشيخ صالح المحضر للتوقيع عليه فشطب على لفظ (معالي) وقال: لا معالي ولا مطامي!

أخبرني الشيخ سعد أنه لما اقترح عليه اثنان من زملائه الوزراء (عبد العزيز القريشي وهشام ناظر) إشراكه في شراء أرض من الدولة بالمنطقة الشرقية معروضة للبيع (المتر بنصف ريال)، لم يكن راغبًا في الشراء؛ لأنه لم تكن من عادته التجارة، ولكنه استحيا من رد اقتراح زميليه فوافق، ولما رفع الأمر للجهة المختصة وكان رئيسها الملك فهد رَحِمَهُ اللَّهُ ذهب بالمعاملة للملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ مقترحًا أن تعطى لهم منحة تقديرًا لجهودهم، فلم ير الشيخ لا شرعًا ولا عقلًا ردها بل باع نصيبه منها وجعله فيما يعود على المسلمين بالنفع فصيَّره وقفًا في المدينة النبوية (وقف الأنصار) وجعل ريعه يصرف على مصالح المسلمين وطباعة الكتب وإغاثة المحتاج، وكتب على نفسه وعلى إخوانه صكًّا بألا يأخذوا من ريعه شيئًا لأنفسهم ولا لأهلهم، ولا يسكنون فيه إلا بأجرة المِثْل.

وحين طُلِب لرئاسة الحرمين امتنع فطَلَبَ منه خادم الحرمين الشريفين ـ غفر الله له ـ أن يمكث مدة سنتين فقط، وبعد أن زادت مدة عمله عن السنتين كتب لولي الأمر يطلب الإعفاء بحجة أنه لا تبرأ الذمة باستمراره في العمل،

فكانت محاولاته في طلب الإعفاء بلا فائدة، حتى زاره الملك في المستشفى فرأى وضعه الصحي فقبل طلب إعفائه بعد أن أمضى ما يقارب من اثنتي عشرة سنة .

أخبرني الشيخ سعد ـ أحسن الله إليه ـ: أن أحد كبار العاملين مع ولي الأمر خادم الحرمين ـ غفر الله له ـ لما سئل: كيف أقنعت صالح الحصين بالعمل؟ أجاب: بأنه لم يهمني أمر كما أهمَّني هذا الأمر، بالغ ولي الأمر في الإلحاح وبالغ صالح في الاعتذار! وكان حييًّا فقبل بشرطين: ألا يبقى في العمل أكثر من سنتين، وأن يصرف استحقاقه من الوظيفة في شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي! فقبل ولي الأمر الشرط الأول (وامتدت فترة عمله اثنتا عشرة سنة)، ولم يقبل الشرط الثاني بحجة أنهم لا يتنازلون لأحد كائنًا من كان في النفقة على الحرمين بعد أن شرَّفهم الله بها .

قال لي: ذهبتُ إلى وزارة المالية مع صاحب أجرة فأوقف سيارته في الشارع المقابل للوزارة، يقول الشيخ: فخشيت أن أقطع الشارع لضعف بصري، فقلت له: لعلك تذهب بي إلى باب الوزارة، فظهر عليه الغضب! فقلت ملطفًا الجو: بودي أن زملائي في الوزارة يروني وأنا راكب مع صاحب أجرة، خاصة في مثل سيارتكم الجميلة

فيغبطونني على الركوب فيها! فلما ذهب بي إلى باب الوزارة إلتفت إليّ قائلًا : عساك ما تبيني أعكّك! يعني: أحملك إلى مكتبك.

أخبرني الشيخ سعد ـ غفر الله له ـ أن أخاه صالحًا لم يشتر سيارة في حياته قط!

قال الشيخ سعد: (لم يشتر صالح رَحِمَهُ اللَّهُ سيارة ولا جوالًا ولا كمبيوتر ولا آلة تصوير مع أننا شركاء بفضل الله في القليل والكثير وأنا لا أستغني عن السيارة منذ خمسين سنة، واشتريتُ آلة تصوير مستندات فجاءه رجل يطلب الإعانة لشراء آلة تصوير لجمعيته فأعطاه إياها! فقلتُ: لعل الرجل وجمعيته أهلًا للإعانة، فقال: لا أعرف عنهم شيئًا).

من فرائد هذا العالم الزاهد رَحِمَهُ اللَّهُ أن العادة جرت حين يعين الشخص في منصب ذي شأن أن يشكر المسؤولين على التعيين، لكن شيخنا بالعكس لما أعفي من المنصب شكر المسؤولين على الإعفاء، وأظهر امتنانهم عليه بالإعفاء، ولم يكتفِ بذلك بل جعل يعدد المزايا التي كان له دور بارز إما في اقتراحها أو العمل لأجل تحقيقها ونسبها كلها لخادم الحرمين الشريفين ـ جزاه الله عن المسلمين خيرًا ـ وجعل نفسه شاهد عيان عليها فقط وكان مما قاله في ذلك: (هذه المبادرات لم يكن أحد غير خادم الحرمين

الشريفين مفكرٌ فيها، ولو وجد فلم يكن أحد يفكر أنها ممكنة، ولو وجد من يفكر أنها ممكنة فلن يقدم على تنفيذها، نظرًا للتحديات المواجهة وسأسرد هنا بعضًا منها:

۞ **الأولى:** تغطية زمزم، التي أنقذت المسلمين من أخطار محدقة، دل عليها موت عدة أشخاص فيما سبق، وما دفع الله أعظم.

۞ **الثانية:** إزالة الإنكسارات في ذروة سطح الحرم الشريف والدور الأول منه، وتوسيع عنق الزجاجة الذي كان دائمًا يحدد عدد الطائفين، فنتج عن ذلك إنقاذ الطائفين من أخطار على الحياة، وزادت نتيجة ذلك الطاقة الاستيعابية للمطاف أكثر من الضعف، بأقل جهد وتكلفة.

۞ **الثالثة:** الإنقاذ من الحركة المتعارضة في ساحة باب أجياد والتي ظلت تمثل خطرًا محدقًا، لولا أن الله يدافع عن الذين آمنوا، وهذه المبادرة لخادم الحرمين الشريفين في هذا لم يكن أحد يحلم بها أو يرى أنها ممكنة، بل لقد واجهت عند التنفيذ بعض المعارضات المبنية على أوهام وتخيلات لا حقيقة لها، فلما نفذت اعتبرت من الجميع، من أعظم الانجازات في سجل الإنجازات عن السنة الأولى للاستفادة منها).

كان مخلصًا وناصحًا رَحِمَهُ اللَّهُ لدينه وولاة أمره

وللمسلمين قال لي مرة: أني أدعو لهذه الدولة وولاة أمرها في كل صلاة بل أدعو لهم في كل سجدة من سجدات صلاتي.

ذهبتُ به مرة لشيخنا العلامة صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ وكان مجلس الشيخ ممتلئًا، وكان بعض الحاضرين يجلس على الأرض، فدخلتُ مجلس الشيخ ممسكًا بيد الشيخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال لي: دعنا نجلس هنا يعني حيث انتهى المجلس على الأرض فقلت: أبدًا ورفعت صوتي قائلًا الشيخ صالح الحصين فقام شيخنا الفوزان مبادرًا إلى الشيخ صالح وأمسك يده وقدّمه وأجلسه بجواره وكان مما قاله الشيخ صالح الفوزان: يا شيخ صالح لقد درستني في المعهد العالي للقضاء، فأجابه الشيخ صالح: لستُ أهلًا لذلك لكن أتوا بي لسدِّ فراغ الجدول فقط... وحين أذّن المؤذن لصلاة العشاء خرج الحاضرون وقام الشيخان الصالحان ـ غفر الله لهما ـ بالخروج فركب الشيخ صالح الفوزان في المرتبة الخلفية خلف الراكب ولما فتح الشيخ صالح الحصين باب الراكب الأمامي التفت ونظر إلى المرتبة الخلفية وإذا بالشيخ صالح الفوزان قد ركب خلفه (ولم يكن الشيخ الحصين انتبه لركوب الشيخ في أول الأمر؛ لقيام أحد الحاضرين

بتوديعه) فقال: والله ما يصير أعطي الشيخ صالحًا ظهري!! فنزل وركب بجواره، فصرتُ لوحدي في مقدمة السيارة، وبدا لي أن أذهب بهما ـ غفر الله لهما ـ لمسجد بعيد حتى أحظى بمزيد من الوقت معهما لكن هِبتُ الشيخ صالح الفوزان رفع الله قدره وكان مهيبًا ولا يزال.

أخبرني الشيخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ أن الذي طلبه للتدريس في المعهد هو الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

كما درَّس الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في كلية التجارة التي تسمى الآن العلوم الإدارية في جامعة الملك سعود، وقد كتب الشيخ مذكرة متقنة، وكان يبحث عنها رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكن لم يجد لها أثرًا كما أخبرني ابنه الدكتور عبد الله.

كان للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ محاضرة في كلية الشريعة عن القومية والوطنية فشرِفتُ بأخذه من منزل ابنه والذهاب به إلى المحاضرة، فتحدث رَحِمَهُ اللَّهُ في المحاضرة عن القومية وعن أساتذتها وتدريسهم له في معهد الدراسات العربية بمصر كساطع الحصري وأمثاله وكانت محاضرة مفيدة جدًا، وبعد انتهاء المحاضرة قمتُ إليه لأحمل الأوراق التي معه فامتنع، فقلت له: شيخنا لن أسرق الأوراق سأسبقك بها إلى السيارة فرفض أشد الرفض!

لحقني بعض الناس بعد المحاضرة وأعطوني أوراقًا

فيه طلب أموال لعل الشيخ أن يدفع إليهم شيئًا فقلت لهم: سأوصلها للشيخ، فلما ركب معي أخبرته عنها فقال: عندنا من هو أحوج منهم بكثير خاصة في أفريقيا هناك من يموت جوعًا وكثير من هؤلاء يريدون رفاهية العيش مجاراة لغيرهم.

طلبتُ من الشيخ أن يكتب عن ذكرياته، فقال: قد نسيتها! لا أتذكرها، فقلت: لو بعضها، هذا الشيخ سعد قد كتب ثلاثة كتب عن سيرته: الأولى: عن سيرة طالب علم، والثانية: عن سيرة داع إلى الله، والثالثة: عن سيرة مسافر سعودي، وكلها من الذاكرة، فقال: سعد أقوى ذاكرة مني ويحفظ أما أنا فأنسى!

كررتها عليه بعد مدة فاعتذر بالعذر نفسه! فقلت: لم تنس عذركم شيخنا!

علمتُ من الشيخ أن حفلًا لحلقة تحفيظ القرآن سيقام على شرفه رَحِمَهُ اللَّهُ فاتصلت به وحدّثته عن بعض الأمور فقال لي رَحِمَهُ اللَّهُ: هل تصحبني للحفل؟ فقلتُ: أتشرف بذلك، ولعلكم شيخنا تسمحون لي أن أذهب بكم إلى مقر الحفل، فذهبتُ به إلى الحفل وبعد الانتهاء منه إذا بأحفاده قد جاءوا إلى الحفل وطلبوا من الشيخ أن يذهب معهم فالتفت إليَّ ورأى أن باب الراكب قد فُتِح له، فالتفت إلى أحفاده وقال: على اليد ما أخذت حتى تؤديه!

يقصد ـ غفر الله له ـ أني قد أخذته من منزلهم فعليَّ أن أرجع به إلى المكان الذي أخذته منه.

حدثني الشيخ سعد قائلًا: (قبل خمسين سنة أثناء دراستنا في مصر ذكرتُ لأخي صالح رغبتي في التوقف عن شرب الشاي بحجة أنه لا فائدة تذكر في شربه ـ ونحن لا نشرب القهوة ولا المشروبات الغازية ـ، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ما عندنا من التسلية المباحة في مصر غير شرب الشاي! بل لنتوقف عن أكل وجبة العشاء فلستُ أرى من العقل ولا الحاجة الأكل قبل النوم، فتركنا العشاء منذ ذلك التأريخ).

لا أذكر أن ذهبتُ إلى مكة إلا وأقابله في اليوم مرة أو مرتين وكان يجلس بين العشاءين في صحن الكعبة بينها وبين غرفة المؤذنين والمبلِّغين فأجلس معه وكان يحدثني في مسائل الاعتقاد[1] والعبادات والمعاملات، وكان يجيبني عن كل شيء أسأله عنه بلا تردد.

---

(١) قال لي مرة في مكتبه بالرئاسة العامة لشؤون الحرمين: نحن في الرئاسة نطبع كتاب الصنعاني والشوكاني في المعتقد الصحيح وتحذيرهما من التعلق بالقبور والبدع؛ لأن كثيرًا من الوافدين قد لا يقبل من علمائنا خاصة؛ لأن بعضهم عنده تشويش حول دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فرأينا أن نطبع كتب من لم يكن محسوبًا على الدعوة، وكتبه تؤدي الغرض نفسه التي تؤديها كتب أئمة الدعوة رحمهم الله جميعًا.

سألته مرة عن وضع النعل أمام المصلي في الحرم خاص حيث أني أتحرج من ذلك، فقال: الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (أجعلها تؤمُّني لا تغمُّني). يعني: أجعلها أمامي كالإمام ولا أجعلها خلفي قد تسرق أو تضيع فاغتم بفقدها أو بالتفكير فيها أثناء الصلاة.

جاءه رجل أفريقي يكلمه في موضوع ما وبعد الانتهاء من موضوعه لم يجد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ما يعطيه إلا كيسًا من القطن كان يضع فيه حذاءه فأخرج الشيخ حذاءه من الكيس المصنوعة للأحذية، وأعطاه للأفريقي؛ ليضع فيه حذاءه، فأخذه الأفريقي مسرورًا به.

كان يصر عليَّ كثيرًا لتناول الغداء معه فاعتذر منه فكان يقول: لا أتكلف، إنما هو غداء البيت المعد لي، فاعتذر، وكان يفعل ذلك مع غيري كما أشاهده دائمًا.

عاتبني مرة وقال: دائمًا تعتذر! فقلت: أبشر غدائي عندكم اليوم، فذهبت إلى شقته المتواضع بجوار المسجد الحرام فجعل يشرح لي مساحتها وعدد الغرف فيها! مع أنها شقة صغيرة في برج الجوار مساحتها خمسون مترًا فقط! ومساحة الغرفة لا تتجاوز أربعة أمتار في ثلاثة! فسبحان من حباه الزهد والانصراف عن الدنيا، قال الشيخ سعد ـ غفر الله له ـ: (الشقة في مكة: غرفتان واحدة للرجال ومثلها للنساء)!

ولم يكن ينام فيها إلا على الفراش المطروح على الأرض رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومرة كنتُ خارجًا من الحرم من باب الصفا وكانت ابنتي لجين معي فإذا بالشيخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ يمشي وحده فسلمتُ عليه، فقام وقبّل ابنتي ودعا لها وقال: الآن عرفتُ سبب امتناعك عن إجابة دعوتي للغداء! وكان عمر لجين أربع سنين أصلحها الله وذريّات المسلمين.

فخطبها مني! فكان إذا رآني بعدها يسألني عنها ويقول: كيف عروستنا!

وكان يقول: لا تخبر الصحافة عن خطبتي لها فيقولون: ابن ثمانين يريد الزواج بمن تصغره بأكثر من سبعين سنة.

لم أطلب من الشيخ على طول صحبتي معه إلا أربعة أمور: اثنان لي واثنان لرجلين طلبا مني الشفاعة عنده، طلبتُ منه الشفاعة للإعفاء من القضاء وأن يُكلِّم سماحة الشيخ صالح اللحيدان ـ حفظه الله ـ في الموضوع حيث مضى علي أكثر من ثلاث سنوات وأنا معلق على ذمة القضاء لعل الشيخ أن يقبل من الشيخ فقال: لي الشيخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ لو ذهبتُ معك لقلت تمسكوا به لا تتركوه!

فقلت للشيخ: أجل ادع الله بأن يقدر لي الخير ويبعد عني الشر، وأعني به تولي القضاء.

فكان الشيخ بعد ذلك يقول لي: ليتني ذهبتُ معك للشيخ اللحيدان، فإني لا أذكر أحدًا طلب مني الشفاعة في ترك وظيفته غيرك، فقلت: أنت قبلي قد طلبت الشفاعة لترك الوظيفة!

كان يشفع لكل أحد بل كان يشفع لأفراد وجماعات مع علمه أن بعضهم يستغلُّه لكن يستحي أن يرد أحدًا فلا يُحصى عدد الشفاعات التي كتبها.

ومع كثرة شفاعاته إلا أنه لم يكن يكتب لأقاربه الأقربين شفاعة في أمور طلب الوظائف ونحوها من الأمور! ولا يُعرف أنه كتب طلبًا لنفسه البتة.

أخبرني الشيخ سعد ـ غفر الله له ـ أن وزارة المالية منحت أخاه صالحًا من دون طلب بيتًا في الإسكان الأول الذي بناه الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنه لا يوجد له مستحق غيره وفق النظام، فرأى أوراق المنحة مدير إدارة الصادر والوارد، فقال: أنا أحق بها ـ أي المنحة ـ، ولما وصل الخبر إلى صالح رَحِمَهُ اللَّهُ بصفته مدير الإدارة القانونية: حكم بأن الرجل أحق بها؛ لأنه منقول من جدة ولو كان لا يستحقها بوظيفته فمنحت للآخر.

أذكر أن المشرف على رسالتي الدكتوراه معالي مدير جامعة الإمام ـ حفظه الله ـ طلب مني أن يكون المناقش لرسالتي هو الشيخ صالح الحصين رَحِمَهُ اللَّهُ فقلت: لا أظنه يقبل، فقال: أصر عليه، فقلت: نعم. فاتصلتُ بالشيخ صالح وقلت له عن الموضوع فاعتذر بلطف، وقال: بودي لكني لستُ أهلًا لذلك أنت تحتاج إلى عالم يناقشك! فقلت: أنت العالم، فقال: أنا لا أحسن المناقشة ولستُ متخصصًا في الفقه، وأخشى أن أُأَخرك كثيرًا، قلتُ: لا بأس، قال: لا أنا لا أرضى بذلك، وأخبرته بأن الرسالة تقع في ثلاث مجلدات، فقال: اللهم بارك هذه لو ضُرِب بها كافر لأسلم! فقلتُ له رَحِمَهُ اللَّهُ: هل تحيلونني على ملئ يحل محلكم؟ فجاء ذكر الشيخ العالم الدكتور أحمد بن حميد ـ حفظه الله ـ فقال: ونعم الشيخ أحمد عالم وسيفيدك أعطني رقمه لأكلمه وأخبرك، فأعطيته رقمه.

وبعد قليل اتصل بي الشيخ وقال: لم يرد علينا سنتواصل معه ثم أخبرك وبعد يوم اتصل بي الشيخ وقال: كلمنا الشيخ أحمد ووافق جزاه الله خيرًا، فدعوتُ للشيخ وشكرته على حرصه.

كنتُ كلما ألفت كتابًا أو رسالة أعطيته نسخة منها

قبل طباعتها[١] في الغالب فكان يقرؤها ويفيدني، وكان آخر كتاب أعطيته إياه «الأحكام الفقهية المتعلقة بمنصب الإمامة»، زرته في مكتبه وسألته عن ملحوظاته على الكتاب بعد مدة فكان مما قاله: (إني لا أنصح لولي الأمر إلا سرًا، وعلى كثرة ما أكتبه لهم لا يدري عنه حتى مدير مكتبي)! قال ذلك؛ لأن من مباحث الكتاب: النصيحة لولي الأمر تكون سرًا لا علنًا إلا إذا كانت أمامه.

كان أحب كُتُبي إليه كتاب «مسائل صلاة الليل» وكان أحب شيء له فيه المقدمة! فكان يثني عليها كثيرًا، وما أظن ذلك إلا لأنه من عباد الليل الذين يستشعرون عظم الموقف بين يدي الله حين ينزل سبحانه في الثلث الأخير الليل، فيقول سبحانه كما في الحديث الصحيح: «**من يدعوني فاستجيب له**».

قال لي مرة ونحن خارجون من المسجد: ليتك حضرت محاضرتي البارحة، فقلتُ: كنت حريصًا عليها

(١) جاء في كتاب الشيخ بكر أبوزيد رَحِمَهُ اللَّهُ " التحذير من مختصرات محمد علي الصابوني في التفسير" أن ممن عرض عليهم كتابه هذا: الشيخ صالح الحصين رَحِمَهُ اللَّهُ فقرأه و رأى مناسبة طبعه ونشره مساهمة في الدفاع عن كتاب الله تعالى. ينظر: كتاب الردود للشيخ بكر ص٣٣٩.

لكن كان عندي محاضرات في الجامعة، فقال: لقد ضربتُ بك مثالًا! قلت: كيف ذلك؟ قال: ذكرتُ أن أحد المشايخ ألَّفت كتابًا عن صلاة الليل، وأنه مكتوب على الكتاب حقوق الطبع محفوظة! فقلت: هذا الناشر للكتاب هو الذي فعل ذلك، وأنا لم آخذ عليه ريالًا واحدًا إنما آخذ نسخًا أوزعها على طلبة العلم، وقد بحثتُ مسألة حقوق التأليف في رسالتي الماجستير، وخلصتُ إلى رأي أرجو أن أكون قد وفقت فيه.

وكان شيخنا له وجهة نظر قوية في المسألة برهن عليها واستدل وفنَّد ما يثار حولها، وبيّن أن حقوق التأليف جاءت من القوانين الأوربية بعد الثورة الفرنسية؛ لحفظ حقوق المسرحيات والموسيقى والرقص، ثم طالب الفكريون بحفظ حقوق الفكر، فكيف يقتدي المسلم في كتابته التي يريد بها الله والدار الآخرة بأولئك؟

فكانت كتابة الشيخ متميزة رَحِمَهُ اللَّهُ وكان يفرق بين حقوق الطبع وحقوق التأليف، تجد ذلك في مقاله «هل للتأليف الشرعي حق مالي».

ومع تميز كتاباته رَحِمَهُ اللَّهُ فتجده يصفها بقوله: (قد لا يجد المتصفح لهذه المقالات أفكارًا مبدعة، أو آراء متعمقة، أو نظرات لما تعوده مما يصدر من نُخب التفكير،

إنما سيجد حقائق بسيطة، ولكن من الواضح ـ رغم بساطتها ـ الغفلة الغريبة عنها ليس من قبل عامة الناس بل من بعض خواصهم) .

زرته مرة فإذا بيده قد وضعها كما يضع المكسور يده في رباط يحملها، فقلت: لا بأس عليكم، فقال: أبدًا كنت على كرسي في العمل فأغمي علي فسقطتُ، الإغماء نعمة من الله حيث أن الجسم إذا بلغ غاية معينة لا يستطيع التحمل فيغمى عليه حتى يأخذ راحته فهو أحسن من النوم لأن كثيرًا من الأجهزة تأخذ وضعها المناسب بعد الإغماء!

وقد أدركته نعمة الإغماء مرة من المرات! حدثني الشيخ سعد ـ غفر الله له ـ قائلًا: (عندما عُيِّن وزيرًا في عهد الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ عُقِد مؤتمر صحفي له ولاثنين من زملائه المعيَّنين حديثًا، ولما سمع أسئلة الصحفيين الروتينيّة أُسقط في يده، وقبل أن تصله الأسئلة أغمي عليه، فأنقذه الله منها!).

ومرة أغمي عليه وهو في الهند أو باكستان في دورة المياه التي في محل إقامته وقد كان قائمًا للوضوء، فسقط وانكسرت منه بعض ضلوعه، فلما استيقظ من الإغماء ربط على صدره بمحزم وأكمل المؤتمر الذي جاء من أجله!

كان يذكر لي مقولة ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وأنها قاعدة

ونظام للأفراد والجماعة والدول لا يجوز الإخلال بها وهي: (العدل واجب لكل أحد على كل أحد في جميع الأحوال، والظلم لا يباح شيء منه بحال)، فكان يختصرها ويقول: (العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال).

حدثني الشيخ سعد ـ غفر الله له ـ أنه: (قبل خمس وثلاثين سنة تعوَّدنا على تخصيص الوقت بين المغرب والعشاء لنزور أو يزورنا بعض الأصدقاء، فخرجنا من المسجد آخر مرة للزيارة، فأوقفني الأخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: ما رأيك؟ هؤلاء الإخوة لا همَّ لهم هداهم الله إلا رسم الحياة بالحبر الشيني (أي الأسود)، وسنضيع نعمة الله بالفراغ بين الصلاتين فيما يضرّ ولا ينفع من الظن والغيبة وإعانة الشيطان على الوعد بالفقر ونسيان وعد الله بالمغفرة والفضل، والله يقول: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشَّرح: ٧-٨]، فاستجبتُ لنصيحة أخي رَحِمَهُ اللَّهُ فعدنا إلى المسجد، قال الشيخ سعد: وكان من منن الله عليَّ المواظبة على انتظار الصلاة بعد الصلاة بين العشاءين في السعودية والأردن ولبنان إلى هذا اليوم، ولعلي ألقى الله قبل أن أعجز عن ذلك).

أُجريتْ له عملية في القلب قبل سنوات فذهبت إليه

في المشفى فسألته عن حاله فحمد الله وأثنى عليه وقال: أبشِّرك ثلاثة شرايين مرة واحدة نعطى الأجر ـ بإذن الله ـ جملة!

قلت له مرة وهو معي في السيارة: إني أحبك في الله، وإني أحرص على الجلوس معكم، وصحبتكم، لا لأجل شيء من الدنيا إلا لطلب الفائدة منكم، فقال لي: ما عندي شيء من الدنيا حتى أُصحب لأجله!

كنتُ أسأله عن بعض العلماء سألته مرة عن الشيخ عبد الله بن جاسر رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب كتاب «مفيد الأنام» فقال: نِعْم الرجل طيبة وخلقًا ولطافة، كنا نجتمع في لجنة مكونة من وزارة العدل ووزارة المالية وغيرها.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ بصيرًا بالرجال والجماعات الإسلامية، ومع ذلك كان يعاملها كلها على أحسن ما تُظْهِرُ له، وإن كان لا يرضى ما عندهم من أخطاء وضلال ولذا لا يذكر بعضها لا بخير ولا بشر! ذكر لي مرة أن جماعة التبليغ لا يحبون الجهاد؛ لأنه ليس على منهجهم وطريقتهم، ولذا لم يشاركوا في الجهاد الأفغاني.

وعلى ذكر الجهاد الأفغاني كان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ مهتمًّا بموضوع اختلاف القادة الأفغان وكان قد حرص على تكوين لجنة لدراسة الأمر

فكان مما كتبه رَحِمَهُ اللَّهُ: (اجتمعنا بأصحاب الفضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني، والشيخ صالح الحصين، والشيخ سعد الحصين في صباح السبت ١٩/٧/١٤٠٦هـ، وصباح يوم الأحد ٢٠/٧/١٤٠٦هـ عبد المجيد وسعد خاصة، واتفق الرأي على أن يسافر وفد إلى باكستان في ١٥ شوال ١٤٠٦هـ للاتصال بقادة الجهاد الأفغاني المشايخ سياف، وقلب الدين، وبرهان الدين؛ للتوفيق بينهم وبين الشيخ جميل الرحمٰن، وجمع كلمتهم مع العناية بأمور الدعوة، والتعليم في المهاجرين، واهتمام الجميع بالعقيدة الصحيحة، والتحذير مما يخالفها بالطرق المناسبة التي لا يترتب عليها إن شاء الله تصدع، ولا خلاف.

واتفقنا على تكوين الوفد من الشيخ عبد المجيد الزنداني، والشيخ صالح الحصين، والشيخ نزار الجربوع، وينضم إليهم الشيخ عبد العزيز ابن عتيق مدير مكتب الدعوة في باكستان، ويعينهم بما يحتاجون إليه من سيارة وغيرها، واتفقنا على إعداد أربع رسائل لكل من الإخوة المشايخ سياف، وقلب الدين، وبرهان الدين، وجميل الرحمٰن تشتمل على بيان أهداف الوفد، والنصيحة لكل منهم بما يشجع على التوجه إلى العقيدة الصحيحة، والجهاد؛ لتكون كلمة الله هي العليا. والله ولي التوفيق، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه.

ملاحظة: نظرًا لعدم تيسر توجه الشيخ نزار الجربوع فقد رأينا إرسال فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح القصير، العضو في إدارة الدعوة والإرشاد في الداخل بدلًا عنه، عبد العزيز بن عبد الله بن باز)[1].

كتب إليَّ الشيخ سعد ـ غفر الله له ـ: (أن الاختلاف في الأحزاب الأفغانية كان بين السياسيين والصوفيين من جانب وبين جميل الرحمن السلفي من جانب، وكان سياف وإلى درجة أقل حكمتيار (السياسيين) أشدهم عداء لجميل الرحمن مع أنه الوحيد الذي قام حزبه وجهاده على الاعتقاد الصحيح والسنة الصحيحة في العبادات والمعاملات، وبعد اجتماعي مرتين بالزنداني ـ هداه الله ـ رأيت من تعصّبه لحزبه الإخواني ورفضه لغيره ما لا يمكنني الصبر عليه وتركتُ للأخ صالح أن يتولى عني هذا الأمر لما عرفته من تحمّله وصبره، وأوصيتُ أن يشترك معهما عبد العزيز بن عتيق مدير مكتب الملحق الديني في باكستان رغم رفض الزنداني إشراكه في محاولة الإصلاح!

وأخفقت المحاولة؛ لتعصّب سياف كما قال صالح، وتعصب الزنداني هداهم الله).

---

(١) ينظر: كتاب جوانب من سيرة ابن باز ص٢٠٦.

قال لي الشيخ سعد ـ غفر الله له ـ: (لم أسمعه ـ يعني أخاه ـ منذ أدركته ذكر أحدًا بسوء فيما أعرف وغاية ما سمعته منه أنه قال عن رجل أساء معه التصرف: أخلاقه تجارية هداه الله!، وقال عن مقدمة كتبها صحفي لبعض بحوثه فأطراه: إنها سخيفة تجاوز الله عن كاتبها).

وبهذه المناسبة أقول من فاته الشيخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ فلا يفته الشيخ سعد ـ غفر الله له ـ فهو لا يقل عن صفات الشيخ صالح زهدًا ودينًا وصلاحًا[1].

كان من تواضعه وتشجيعه رَحِمَهُ اللَّهُ أن يعطيني مقالاته ويقول: أعطني رأيك فيها! قال لي مرة: هذا المقال لم يرتض بعض الإخوة نشره! فأعطني رأيك فيه، فقرأته وأعجبتُ به، فقلتُ له: ما أسباب عدم رضاهم؟ فأخبرني بسبب ذكروه لعله لم يقنع الشيخ فأخبرته برأيي أن هذا هو وقت نشره، فنشره بعد ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ.

كان إذا خرج له كتاب أعطاني منه نسخًا، مرة

(١) علَّق الشيخ سعد غفر الله له: (لو كان لي من أخلاق صالح وحسن تعامله شيء، فليس لي لينه مع المخالف؛ بحجة تركيزي على دعوة إفراد الله بالعبادة ونفيها عمن سواه، وكان النبي ﷺ يلين مع من يتبول في المسجد، ومن يستأذنه في الزنى، ولا يلين في منكر الاعتقاد: "اجعلتني لله ندًّا"، "بئس الخطيب أنت".

أعطاني نسخة واحدة من أحد كتبه وقال: هذه نسختي خذها، وسيأتي الله بنسخ أخرى، فرفضتُ، فقال: أنا لا أحتاجها الآن، فأخذتها جزاه الله عن أمة محمد خيرًا.

كان آخر كتاب أهداه لي : (خاطرات حول المصرفية الإسلامية) بطبعته الثالثة في٢٠/ ١/ ١٤٣٤هـ بالرياض وقال لي: أهم شيء هو أن تقرأ الملحق الأخير فقلتُ له: أبشر.

فقرأته فرأيتُ في أحرفه الحزن والأسف إلى ما صارت عليه حال المصرفية الإسلامية فمما جاء في الكتاب ص١٢٦: (ظلت فكرة المصرفية الإسلامية في المملكة تقترب شيئًا فشيئًا من فكرة المصرفية الربوية حتى سهل على المصارف الربوية أن تتعايش مع فكرة المصرفية الإسلامية مع بقاء الربا أصلب عودًا وأعظم ازدهارًا وأبلغ حصانة عن النفي والزوال.

تتحمل الهيئات الشرعية في مصارف المملكة القسط الأكبر من هذه الخسارة العظمى التي منيت بها المملكة بل مني بها الإسلام، تلك الخسارة التي أجهضت لها مقاصد الحكومة وتوقعات منظري ورواد المصرفية الإسلامية.

تتحمل الهيئات الشرعية هذه المسؤولية؛ لأنها وإن كان ذلك بسلامة نية وجهل بالواقع ومآلات الأمور بدأت بإيجاد مخارج للتمويل عن طريق الإدانة لأجل بمقابل نظير

الأجل، وكانت هذه المخارج تبدو من ناحية الشكل الفقهي مهيأة للقبول، ولكنها انتهت بالحيل الصلعاء التي لم يعد الفرق بينها وبين الربا كافيًا لخداع المؤمنين الخاصة منهم أو العامة..).

عمل الشيخ عشر سنين في إحدى الهيئات الشرعية لأحد البنوك الإسلامية نائبًا للرئيس وكان يحدثني بلوعة عما يجري.

قال الشيخ سعد ـ غفر الله له ـ: (عمل عشر سنوات في إحدى الهيئات الشرعية ـ التي اتخذها أكثر المصارف وسيلة لجذب المساهمين والمودعين ـ بعد إلحاح شديد من القائمين على أكبر المصارف وبإحراج أشد، واستشارني في المساهمة معهم فلم أر ذلك؛ لأن القائمين على المصرف والمستفيدين منه سيغلبونهم في التنفيذ، فساهم بوديعة لإحدى الأقارب بالحد الأدنى للمساهمة (٢٧٥ ألف ريال) ثم تبين له أن سوء ظني في محله! فسحب مال صاحبة الوديعة بعد مضاعفتها عشر مرات! ثم عجز عن الصبر على تنازلات الهيئة الشرعية فتركها نهائيًا).

سألته ونحن ذاهبان للمسجد هل تنصحني بالدخول في الهيئات الشرعية في البنوك؟ فوقف والتفت إليَّ قائلا: لا، وحذّرني منها! فقلت: قد كنتم فيها يا شيخنا ـ غفر الله

لكم ـ؟ فقال: كنا في موقف قوة، والآن لو قلت: لهم لا هذا ما يصلح أبعدوك بعد مدة! وسقط رأيك بأكثرية الأصوات.

قال لي: كان يعرض الموضوع علينا في الهيئة فأخبرهم بوجه التحريم ووجه الاحتيال فيه، فيجمعون على تحريمه، ثم بعد ثلاث سنوات أعيد علينا الموضوع بطريقة من الطرق فقلت لهم: هذا هو الذي عرض علينا قبل ثلاث سنوات فقبلته الأغلبية!

كان الشيخ يرفض أن يأخذ شيئًا مقابل عمله في تلك الهيئة الشرعية البنكية وحمل جميع الأعضاء على ذلك، فانسحب بعضهم بحجة كيف نعمل بلا مقابل! واستمر الشيخ عشر سنين ولم يقبض هو ولا من معه شيئًا مقابل عملهم، فلما ترك الهيئة صرفتُ الأموال مقابل العمل!

قلتُ له: لم تتركونها وأنتم تستطيعون إصلاحها؟ فقال: إن البيت الآيل للسقوط لا يرمم!

سألته عن أسلم بنك إسلامي؟ فقال: وهل يوجد بنك إسلامي!

كان يردد دائمًا قول أيوب السختياني : يخادعون الله كأنما يخادعون الصبيان لو أتوا الأمر على وجهه لكان أهون.

كنتُ عنده في مخيم الرئاسة بمنى ثاني أيام التشريق فدخل علينا رجل من الأغنياء مشهور جدًا وهو صاحب مصرف من المصارف الإسلامية، فأراد أن يقبِّل رأس الشيخ فامتنع الشيخ كعادته مع جميع الناس بل كان إذا لقيتُه بعد سفر أو طول مدة رفع يديه معلنًا برفعه لهما: لا تحاول تقبل الرأس فإنك لن تستطيع!

الحاصل أن ذلك الرجل صاحب المصرف ـ غفر الله له ـ أصرَّ على تقبيل رأس الشيخ، فقال الشيخ: بشرط أن أبدأ أنا بتقبيل رأسك! جلسنا وبعد الترحيب تكلم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الربا وهو ممسك بيد الرجل ـ غفر الله لهما ـ وصار يُبين أن الأمر خطير، وأن الله حذرنا من سلوك مسلك اليهود في الاحتيال في كتابه في موضعين، وأنه كيف يكون التمويل في نصف ساعة!! (يريد بذلك أن هذا ليس إلا قرضًا بفائدة ربوية تُعْمل تحت غطاء مباح وهي في الحقيقة حيلة على الربا)[1].

(١) قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في بحث له منشور في مجلة مجمع الفقه الإسلامي بعنوان «عقد السلم ودوره في المصرف الإسلامي» ما نصه: (لو نظرنا إلى المصارف الإسلامية التي تعتمد في تعبئة مواردها على السيولة المالية في منطقة الخليج، لما كان من السهل القول بأن هذه المصارف غيرت طريق انسياب فوائضه المالية في العالم الإسلامي =

فقال أحد الحاضرين: يا شيخ صالح ما الحل؟

= إلى الأسواق المالية الغربية، والسبب واضح؛ لأن هذه المصارف تعتمد أيضًا التمويل على أساس سعر الفائدة، وإن كان ذلك مغطى بأشكال من التصرفات الشرعية كالبيع، وظاهر من مراجعة أشكال الاستثمار في هذه المصارف أن عقدًا مثل العقد التلفيقي العصري المسمى (المرابحة للآمر بالشراء) يحظى بحظ الأسد في التعامل.

وما دام هذا السلوك من المصارف الإسلامية يحقق الآثار السلبية الاقتصادية نفسها التي يحققها سلوك المصارف الربوية، فإن للإنسان أن يشك في أن المصارف الإسلامية حققت الهدف بتخليص المجتمع الإسلامي من لعنة الربا.

لا شك أن المخارج الشرعية جزء من الشرع، وقد علم الله نبيين من أنبيائه صورتين لهذه المخارج ذكرهما القرآن الكريم، ولكن هل سلوك المصارف الإسلامية المشار إليه يقع في دائرة (المخرج الشرعي) أم يتجاوز ذلك إلى دائرة (الحيلة الممنوعة)؟!!، إن الفرق بين المخرج الشرعي والحيلة مثل الخيط الدقيق، ولكنه واضح بحيث يدركه الشخص العادي؛ إذ الاعتبار في ذلك بالغاية، فإذا كانت نتيجة السلوك الوصول إلى محرم أو إلى تحقيق آثاره، فإن السلوك في هذه الحالة يقع في دائرة (الحيلة الممنوعة) وليس في دائرة (المخرج الشرعي)، وقد وصف الله في القرآن الكريم إحدى هذه الحيل بأنها ظلم للنفس، واتخاذ آيات الله هزوًا ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١]، وأخبر عن مال الذين استعملوا إحدى الحيل بأنهم مسخوا قردة خاسئين ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: ٦٥]، من يوم حرم العمل على اليهود يوم السبت، وهم يرتكبون في كل سبت مخالفات كثيرة، ولكن الذين استحقوا بأن يمسخوا قردة خاسئين هم الذين ارتكبوا المخالفة في صورة تصرف شرعي مباح. =

فأجاب الشيخ: الحل قد قلته لهذا الرجل، وأشار إلى صاحب المصرف وهو ما زال ممسكًا بيده، وواصل الشيخ كلامه ببيان عدم جواز الانسياق خلف أمور لا تحمد عقباها في مسائل الربا والتحايل عليه، والاتكاء على مجرد أقوال وإغفال مقاصد العقد...

فلما ذهب الرجل، قلت للشيخ: جزاكم الله خيرًا على النصيحة الغير مباشرة، فقال: إن لم تكن هذه مباشرة فكيف تكون النصيحة المباشرة!!

قلت له: الرجل مقبل على الخير ويريد الإصلاح وهو يستمع لكم ويعدكم خيرًا، قال: نعم يقتنع بما أقوله لكن يذهب إلى آخرين من المحسوبين على الخير هداهم الله فيزينوا له بقاء الأمر على ما هو عليه، ويُصعِّبون الأمور عنده فيركن إليهم.

كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يجيد اللغة الفرنسية درسها سنوات في مصر بمعهد بيرليتز ثم ثلاثة أشهر في مدينة (رُوان) الفرنسية.

= وعقد التحليل في الزواج لا يختلف في صورته ولا في الآثار الفقهية المترتبة عليه عن أي عقد زواج مشروع، ولكن المحلل والمحلل له ملعونان على لسان الرسول ﷺ...). ينظر البحث بأكمله في آخر الكتاب.

ودرس الإنكليزية ثلاثة أشهر في إنكلترا، والطلاب المبتعثون يدرسونها في سنة دراسية، ولا يصلون إلى مستواه (في القراءة والفهم بخاصة).

دخلتُ رئاسة الحرمين مرة فإذا بوفد من أوروبا أو أمريكا والشيخ يلقي عليهم في مكان مُعدٍّ لذلك، وكان المترجم يترجم ما يقول الشيخ، فترجم جملة من كلام الشيخ وأخطأ في الترجمة، فقال الشيخ: لعل المترجم لم يسمع ما قلته لضعف صوتي فاجتهد! والصواب من كلامي هو كذا وقاله باللغة الإنكليزية، ثم جعل يتكلم بالعربي فأخطأ المترجم مرة أخرى، فقال الشيخ: لعلي أثقلتُ عليك سأتكلم مباشرة معهم فبدأ يحدثهم باللغة الإنكليزية. والذي منع الشيخ من الحديث مباشرة معهم أن هذا المترجِم قال: سأترجم كلامك، فاستحيا الشيخ أن يرده.

لا تسألني عن زهده ولا عن عبادته ولا عن بذله لماله وجاهه، كما لا تسألني عن ورعه ولا عن نصحه ولا عن علمه، ولا عن سعة ثقافته ولا عن خلقه ولا وفرة عقله، ولا مسارعته في حاجات المسلمين فهو مضرب مثل فيها كلها.

قال الشيخ عبد الله البسام رَحِمَهُ اللَّهُ عنه: (هو مخلص

في سبيل الدعوة إلى الله في ماله ولسانه وبدنه وقلمه، وهو من جنود الله المجهولين)[١].

نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام في دورتها التاسعة والعشرين عام ١٤٢٦ هـ مناصفة؛ تقديرًا لجهوده المتميزة في خدمة الإسلام والمسلمين.

على كثرة أشغاله واهتماماته لم ينس رَحِمَهُ اللَّهُ أن يخصَّ أقاربه بنصائح وتوجيهات كتب رَحِمَهُ اللَّهُ لأحد أحفاده (أنس) رسالة حين كان مبتعثًا ونصها: (إلى الحبيب أنس: يصف الله عز جلاله السعداء في الآخرة بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وتلك السعادة الأخروية.

السعادة الدنيوية لا تتحقق إلا فيمن تحرر من الحزن والندم على الماضي، والخوف والقلق من المستقبل.

قبل ستين سنة كنتُ مغرمًا بقراءة كتب الصحة النفسية، وأنفع ما قرأته: جملة قصيرة (كن كما أنت) لا تتظاهر بأنك أغنى أو أذكى أو أعلم أو أتقى مما أنت في الحقيقة، لا تقل أو تعمل ما لا تحب أن يطلع عليه من يحبك أو من يكرهك.

---

(١) من كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٧٤).

يساعد على ما ذكر أن تحرص قدر ما تستطيع ألا تنفق جزءًا من وقتك مهما صغر إلا في تحصيل العلم الذي سافرت من أجله، أو الرياضة أو العبادة؛ بالأولى يصح العقل، وبالثانية يصح الجسم، وبالثالثة يصح العقل والجسم والروح.

ونستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك).

لما كُلِّف بموضوع قسمة تركة الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ هو ومن معه أُعطوا على عملهم في القسم الأول من التركة مبلغًا كبيرًا جدًا فرفض أن يأخذ شيئًا على القسم الأول ولا ما بعده.

لما كان في المدينة اشترى أرضًا تبعد عنها سبعين كيلو فغرس فيها نخلًا ؛ ليأكل منها الطير والحشرة وغيرهما من خلق الله ليكسب أجر ذلك، وجعل فيها غنمًا ليسقي والدته من حليبها، وجعل مشربًا خارج المزرعة لسقيا البهائم المارة، فلما استغنت والدته عن حليب الغنم باعها بقيمة الأرض قبل غرسها وعلى أن يقسم الثمن على سبع سنين، وفي السنة الأولى توفي المشتري ولم يسلم القسط الأول، فجاء الورثة إلى الشيخ صالح ليردوا عليه المزرعة فقال: أبدًا هي لكم بارك الله لكم فيها ولم يأخذ منهم شيئًا!

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يصلي بين العشاءين ما يقارب اثنتي عشرة ركعة إذا لم يكن مسافرًا رأيته مرارًا يفعل ذلك أمام الكعبة، بل إني لا أهتدي إليه مع كثرة الناس أحيانًا إلا بمراقبة الذين يصلون فأجده بسهولة.

أضاف الشيخ سعد ـ غفر الله له ـ: (ذكَّرته بضعف الحديث الذي يعتمد عليه من يصلي اثنتا عشرة ركعة ومنهم والدي رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: لم أعرف عن ضعفه إلا بعد أن داومتُ عليها فرأيت الثبات عليها إقتداء بالنبي ﷺ في الثبات على عمل التطوع.

ولما بدأتْ مسألة إغلاق المساجد حفاظًا عليها، كان يقول: أغلقوا المسجد عليَّ! يعني بين العشائين).

كانت صلاته تامة الركوع والسجود، وكنتُ إذا رأيته يرفع يديه للدعاء أكاد أن أبكي حسرة على التفريط الذي نحن فيه، كان يطيل رفعهما خافضًا رأسه، من سكونه كأن عليه الطير يتمتم ويلح على ربه.

من عجائبه أنه يتنقل بين المشاعر في حجه مشيًا على الأقدام مع أنه رئيس شؤون الحرمين برتبة وزير! حاملًا مع ذلك متاعه على ظهره، فتراه يمشي مع الحجاج من عرفة إلى مزدلفة على بُعد المسافة وكثرة الزحام، ولا

تنس أن هذا المشي كان بعد وقوفه في عرفة بعد طول عبادة ودعاء، ولا تنس كذلك أنه قد قارب الثمانين من عمره رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم ينام في أكثر حججه حيث ينام كثير من الحجاج وقد وصف حال نومهم بقوله: (يفضلون الافتراش تحت سماء وليل تهامة الجميل فيحسون بالراحة والمتعة والأُنس. . .

هل يمكن أن نقترح على إخواننا المسؤولين عن التوعية والإرشاد، وإخواننا المسؤولين عن التنظيم أن يتخلوا مرة واحدة عما تعودوه ـ فرأوا أنه الحد الأدنى المقبول ـ أن يجربوا الحج المتواضع، فيمشوا مع المشاة، ويفترشوا مع المفترشين، ويمرون ـ عمليًّا ـ بالتجربة التي يمر بها نصف الحجاج، فلعلهم ان اكتشفوا صورة للحج لم يتخيلوها قبل من الراحة والمتعة والأنس والإحساس بفضل الله بالحج، أن يتغير بهم كثير من الأمور، فتنحل عقد وتحل قيود، ويرتفع الحرج والعنت عن عباد الله، ويقولوا: خدمة الحاج شرف لنا، فيقول الحجاج حينئذٍ: صدقتم)[1].

ولم يكن يؤيد الافتراش المضر بالمصلحة العامة

(١) من مقال له رَحِمَهُ اللَّهُ بعنوان: (الافتراش في المشاعر: هل هو مشكلة؟).

أبدًا فقد قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (لابد من الشهادة بحق من أن الجهات الأمنية لم تقصر قط في تعاملها مع هذه المشكلة، ولكنها كانت تتعامل معها بحكمة، فتمنع الافتراش عندما يكون ضارًا بالمصلحة العامة، ولعدة سنوات مضت اختفت ـ بفضل الله ثم بجهود الجهات الأمنية ـ الظاهرة التي كانت موضوع الشكوى في سنوات مضت حيث كان الافتراش تحت جسر الجمرات وفي طريق المشات من منى إلى مكة سببا للإزعاج، وكانت هذه الجهات تلتزم تسامحًا عاقلًا حكيمًا تجاه الافتراش في المشاعر حيث لايتجاوز هذا السلوك على حرية أحد، ولا يؤذي أحدًا، ولا يهدد الأمن والسلامة، وهذه هي الصفة الغالبة على افتراش كل الحجاج تقريبًا في المزدلفة ليلتها، وافتراش كثير منهم في منى لياليها)[1]

ومن لطيف ما كتبه عن تجربته في الحج قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كانت أبعد مسافة بين المشاعر المسافة بين حدود عرفة وحدود مزدلفة، وقد قطعتُها بدون كلفة في ساعة وعشر دقائق، وبالرغم من أني أخطو نحو السبعين من سني العمر فلم يخطر ببالي أن أشكو من تعب المشي، إذ كنت وأنا

(١) مقال (الافتراش في المشاعر: هل هو مشكلة؟).

أقطع تلك المسافة أرى عن يميني معوقًا يدفع عربته ـ عربة المعوقين ـ بساعديه، وعن يساري عاجزين على كرسي ذي عجلات يدفعهما قريبان أو صديقان لهما، و كانت أمامي سيدة باكستانية تحمل طفلها الرضيع على كتفها وتجرُّ وراءها طفلين أكبرهما في الرابعة من العمر، ولا أظن أن هؤلاء هم كل العجزة بين المشاة اجتمعوا بالصدفة حولي، بل كنت على يقين أن أمثالهم كثيرون بين طوفان البشر المشاة المتخففين من أحمالهم، أو الحاملين مثلي حقائب الظهر أو الفرش أو خيمة صغيرة كما يفعل حاج يماني طاعن في السن).

كلما زرتُه في مرضه الأخير رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (أسأل الله أن يجعلكم في خُرفة الجنة[1]، وأن يجعل خطواتكم تسبيحًا)، فكأنه يوصي السامع لتلك العبارات باستحضار نية العمل؛ ليكسب الأجر على زيارته.

كان يقول لي: أبشّرك أني في الربح! يعني أنه تجاوز السبعين من عمره، يشير إلى حديث «أعمار أمتي مابين الستين إلى السبعين».

---

(١) إشارة منه إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ قال: "من عاد مريضًا لم يزل في خُرفة الجنة"، قيل: يا رسول الله وما خرفة الجنة؟ قال: "جناها".

ذهبتُ بشيخنا الشيخ الفرضي فهد بن جاسر الزكري ـ غفر الله له ـ لزيارة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في مرضه الأخير فكان مما قاله الشيخ فهد للشيخ: (لكم يا أسرة الحصيِّن ويا فضيلة الشيخ مواقف مشرِّفة: أهل نصح، وأهل عقيدة، وأهل ثبات... كفى الشيخ عبد العزيز الحصيِّن منقبة حين بعثه الإمامان محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن محمد آل سعود للشريف أحمد سعيد ثم للشريف غالب بن مساعد... هذا البيت المبارك فيه خير وبركة، وأنتم يا شيخ صالح لكم نفع للخاص والعام)، والشيخ صالح لا يزيد عن قوله: الحمد لله واستغفر الله.

اتصلتُ بشيخنا سعد ـ غفر الله له ـ لأعزيه في وفاة أخيه رَحِمَهُ اللَّهُ فكان مما قاله لي: كنتُ أحاول أن أسبق الأخ صالحًا ولو لمرة واحدة؛ حيث كنت أتبعه حين ذهب لدار التوحيد ثم لكلية الشريعة ثم لمصر ثم في بقية أمور من العبادات والعادات فلم أسبقه، وظننتُ أني سأسبقه ولو في الموت قبله! حتى أني قلت له: إن مت فاجعلوا دفني في مقبرة العدل فقد واعدتُ والدتي أن أقبر معها! فسبقني رَحِمَهُ اللَّهُ إلى لقاء ربه.

كان لأبناء الشيخ عبد الرحمن الحصين (الشيخ صالح والشيخ سعد والوزير عبد الله) حسابًا واحدًا ينفقون

منه ويتصدقون، ولا يدخرون شيئًا فوق الحاجات الضرورية.

قال لي الشيخ سعد: (لا أذكر أنَّا أخرجنا زكاة المال؛ لأن كل المال الزائد يُخْرج لمستحقه قبل حلول الحول عليه، وقد أخذ علينا أخي صالح ألا ندخر شيئًا فوق الحاجة فكان ذلك، وكان حسابنا مشتركًا؛ لأننا شركاء في القليل والكثير بفضل الله منذ عشرات السنين، ورأينا البركة في المال بسبب الاجتماع عليه مثل الطعام... وقد كتب صالح رَحِمَهُ اللَّهُ على نفسه وعلينا النفقة بغير محاسبة ولكن من غير إسراف ولا مخيلة).

توفي شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ بعد غروب شمس يوم السبت الموافق ٦/٢٤ وأمَّ المصلين عليه سماحة شيخنا صالح اللحيدان ـ حفظه الله ـ بعد صلاة العصر يوم الأحد الموافق٢٥/ ٦/ ١٤٣٤هـ بجامع الراجحي، ودفن في مقبرة النسيم شرق الرياض، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يأمل أن يموت في المدينة أو مكة وأن يقبر هناك لكنه مات في الرياض ولم يوص بنقله؛ لعدم وروده عن السلف الصالح.

سلمتُ على ابنه الوحيد[1] الأخ المهندس د. عبد الله

(١) سئل عبد الله: هل شرَّفك والدك الشيخ صالح الحصين رَحِمَهُ اللَّهُ بغسل الكعبة؟ فأجاب: لم يكن الوالد ليخص ابنه الوحيد بأمر عام دون الناس.

ـ غفر الله له ـ في المقبرة وقلت له: أحسن الله عزاءكم وجبر مصابنا جميعًا، الله يحلله ويبيحه، قدم على رب كريم، ومن خلّف أمثالكم لم يمت، فقال: والدي أوصاني أن أطلب المسامحة والعفو له من أصحابه فجزاك الله خيرًا على تحليله ومسامحته!

إذا كان مثله يطلب المسامحة والعفو من الناس فما حالنا؟!

فاتني الكثير وما كتبتُ إنما هو شيء مما رأيته بعيني أو حدثني به رَحِمَهُ اللَّهُ أو أخبرني به أخوه الشيخ سعد.

أرى أن من الوفاء له أن تنشأ مؤسسة خيرية باسمه واسم إخوانه تطبع كتبهم وتشرف على دعاتهم وتدير وقفهم وأعمالهم الخيرية.

كما أقترح أن تجمع جميع كتب الشيخ ومقالاته وكلماته ورسائله وما هذَّبه من الكتب، وما ترجمه منها، وتطبع في مجلدات تكون: باسم مجموعة كتب ورسائل ومقالات الشيخ صالح الحصين.

فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ له كتب متعددة من أهمها كتابه: (خاطرات حول المصرفية الإسلامية)، إصدار مؤسسة الوقف، وهو من أحب كتبه إليه.

وأبرز ما كتبه وهذَّبه وترجمه مايلي:

١. وصايا للنبي ﷺ في المائة يوم الأخيرة من حياته الشريفة، وقد تضمن الكتاب خمسة عشر وصية من رسولنا ﷺ، وكم أتمنى أن يُترجم هذا الكتاب فهو مفيد للغاية، أو على الأقل يُترجم ما هذَّبه الشيخ سعد الحصين منه.

٢. **خاطرات حول المصرفية الإسلامية**، إصدار مؤسسة الوقف.

٣. **مهذَّب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.**

٤. **مهذَّب شرح الطحاوية**، وقد طبع طبعة ثانية[١] ووزع على بلاد الهند، وما جاورها وكُتِبَ على الغلاف تهذيب: صالح بن عبد الرحمن.

٥. **التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب**، إصدار مؤسسة الوقف الإسلامي.

٦. **هل للتأليف الشرعي حق مالي**، وقد نُشر في مجلة العدل، العدد الخامس عشر.

٧. **رد على كتابة الدكتور إبراهيم الناصر المسماة «موقف الشريعة الإسلامية من المصارف»** نشر في مجلة البحوث الإسلامية.

---

(١) وفي الطبعة الأولى كَتَبَ عليه الشيخ اسم من راجعه ولم يكتب اسمه!

٨. **الحرية الدينية في السعودية.**

٩. **الإسلام على مفترق الطرق**؛ لمحمد أسد، ترجمة الشيخ صالح الحصين، طبعته مكتبة الملك عبد العزيز العامة.

١٠. **العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة**، إصدار مؤسسة الوقف.

١١. **اقتراح لصياغة مفهوم للوطنية السعودية**، طباعة مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.

١٢. **الأقليات المسلمة في مواجهة فوبيا الإسلام**، إصدار مؤسسة الوقف الإسلامي.

للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مجموعة كبيرة من المقالات وأوراق عمل والكلمات المتفرقة في مناسبات متعددة ككلماته في الحوار الوطني، والمؤتمرات ومناسبات تكريم حفظة القرآن، وكذلك في مناسبات جوائز بعض المدن والعوائل التي لوجمعت لأصبحت في أجزاء.

أقترح على الأقسام العلمية في الجامعات والمعاهد تسجيل رسائل علمية في البحث عن جهوده العلمية، والنظامية «القانونية»، والإغاثية، والدعوية، ومنهجه في الحوار والإدارة وغيرها.

وقد أرفقتُ في ختام هذا الكتابة المختصرة ورقة عمل

قدَّمها الشيخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ لمجمع الفقه الإسلامي بعنوان «عقد السلم ودوره في المصرف الإسلامي» وقد تم نشرها في مجلة مجمع الفقه الإسلامي، وقد تميزت الورقة بأمور:

١) تشخيص واقع البنوك الإسلامية، وإيضاح سبب سلوكها بعض الطرق المؤدية إلى الحيل المحرمة.

٢) الإرشاد إلى الطريق الصحيح لتغيير واقع البنوك الإسلامية حتى تسلم من الربا والحيل المؤدية إليه.

٣) النصيحة من رجل خبير بالمعاملات والهيئات الشرعية بعدم الاستعجال بطلب الربح المبالغ فيه على حساب الوقوع في المحرم.

٤) الدلالة على تعامل قد جاء الشرع بإباحته فيه السلامة والربح للبنوك الإسلامية بلا حيلة ولا ارتكاب لمحرم.

فلهذه المميزات وغيرها أردتُ أن ألفت النظر إليها.

قد عرفتُ من أين أبدأ كتابتي لكن هل أستطيع أن أعرف كيف أنهيها!

رحم الله شيخنا وغفر الله له، ورفع في الآخرة نزله، وأخلف علينا بخير منه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مشاكل البنوك الإسلامية
«عقد السلم
ودوره في المصرف الإسلامي»

إعداد
الشيخ صالح الحصين رَحِمَهُ اللَّهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

عقد السلم
ودوره في المصرف الإسلامي

الواقع:

نشأت المصارف الإسلامية بهدف تحرير المجتمع الإسلامي من لعنة الربا، ومن تعرضه لحرب الله ورسوله، وبهدف التخلص من آثار الربا الاقتصادية على العالم الإسلامي، ومن هذه الآثار حرمان العالم الإسلامي من الانتفاع بفوائضه المالية، وتمكينه من استخدام المال في وظيفته الطبيعية بحيث:

أ) يكون قيامًا للناس يحقق النمو الاقتصادي، ويواجه حاجات الإنتاج.

ب) ولا يبقى دولة بين الأغنياء.

ج) ويحقق استخدام العدل في المعاملة ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٧٩].

وواضح أن اعتماد المصارف الربوية نظام الفائدة حتم انسياب الفوائض المالية للعالم الإسلامي إلى الأسواق المالية في العالم المتقدم، حيث إن اعتماد المصرف نظام الفائدة يحتم عليه البحث عن الاستثمار الأيسر تعاملًا، والأكثر مرونة، والأقوى ائتمانًا، وهذا يتوفر في الغالب في الأسواق المشار إليها، بالرغم من أن هذه الأسواق هي الأقل حاجة للمال، وبالرغم من الشكوى المتكررة للاقتصاديين من عدم استخدام هذه الأسواق للمال في وظيفته الطبيعية حيث لا تزيد نسبة المستخدم منه في التجارة الحقيقية عن (٣٪)، وتستأثر المصافقة SPECULATION بالنسبة الغالبة.

ولكن هل حققت المصارف الإسلامية هذه الأهداف؟!!

مع الأسف الشديد فإن واقع المصارف الإسلامية لا يقدم مبررات كافية للإجابة عن هذا السؤال بنعم!!

لو نظرنا إلى المصارف الإسلامية التي تعتمد في تعبئة مواردها على السيولة المالية في منطقة الخليج، لما كان من السهل القول بأن هذه المصارف غيرت طريق انسياب فوائضه المالية في العالم الإسلامي إلى الأسواق المالية الغربية، والسبب واضح ؛ لأن هذه المصارف

تعتمد أيضًا التمويل على أساس سعر الفائدة، وإن كان ذلك مغطى بأشكال من التصرفات الشرعية كالبيع، وظاهر من مراجعة أشكال الاستثمار في هذه المصارف أن عقدًا مثل العقد التلفيقي العصري المسمى (المرابحة للآمر بالشراء) يحظى بحظ الأسد في التعامل.

وما دام هذا السلوك من المصارف الإسلامية يحقق الآثار السلبية الاقتصادية نفسها التي يحققها سلوك المصارف الربوية، فإن للإنسان أن يشك في أن المصارف الإسلامية حققت الهدف بتخليص المجتمع الإسلامي من لعنة الربا.

لا شك أن المخارج الشرعية جزء من الشرع، وقد علم الله نبيين من أنبيائه صورتين لهذه المخارج ذكرهما القرآن الكريم، ولكن هل سلوك المصارف الإسلامية المشار إليه يقع في دائرة (المخرج الشرعي) أم يتجاوز ذلك إلى دائرة (الحيلة الممنوعة)؟!! إن الفرق بين المخرج الشرعي والحيلة مثل الخيط الدقيق، ولكنه واضح بحيث يدركه الشخص العادي ؛ إذ الاعتبار في ذلك بالغاية، فإذا كانت نتيجة السلوك الوصول إلى محرم أو إلى تحقيق آثاره، فإن السلوك في هذه الحالة يقع في دائرة (الحيلة الممنوعة) وليس في دائرة (المخرج الشرعي)، وقد

وصف الله في القرآن الكريم إحدى هذه الحيل بأنها ظلم للنفس، واتخاذ آيات الله هزوًا ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البَقَرَة: ٢٣١]، وأخبر عن مآل الذين استعملوا إحدى الحيل بأنهم مسخوا قردة خاسئين ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البَقَرَة: ٦٥]، من يوم حرم العمل على اليهود يوم السبت، وهم يرتكبون في كل سبت مخالفات كثيرة، ولكن الذين استحقوا بأن يمسخوا قردة خاسئين هم الذين ارتكبوا المخالفة في صورة تصرف شرعي مباح.

وعقد التحليل في الزواج لا يختلف في صورته ولا في الآثار الفقهية المترتبة عليه عن أي عقد زواج مشروع، ولكن المحلل والمحلل له ملعونان على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولكن ما الذي ألجأ المصارف الإسلامية إلى هذا السلوك؟!! للإجابة على هذا السؤال يقدم الكاتب الافتراض التالي: لقد تم التركيز من قبل المنظرين للمصارف الإسلامية منذ البداية على أن المشاركة هي البديل للفائدة الربوية.

وقد ووجهت المصارف الإسلامية في محاولتها استخدام هذه الأداة بالصعوبات الواقعية والعوائق الجدية

التي تحول دون استخدام هذه الأداة بكفاءة، وليس المجال متسعًا للحديث عن هذه العوائق والصعوبات، وهي متعددة، ولكن يمكن الإشارة إلى أن من أبرز هذه العوائق أن عقد المشاركة عقد أمانة يعتمد على الثقة من الممول في شخص متلقي التمويل، والعالم الإسلامي على ما هو عليه من التخلف الأخلاقي.

ولذا تضاءل ظهور عقد المشاركة في التعامل حتى أصبح مجرد ظهور رمزي، على سبيل المثال فقد أصدر أحد المصارف بياناته المالية ومن بينها البيان المعنون (تمويلات إسلامية) ويقع تحت هذا العنوان ثلاثة بنود: (المشاركة/ المرابحة/ القرض الحسن)، وظهر في عام ١٩٨٩م بند المشاركة بنسبة حوالي (٠,٥٪) من بند المرابحة، أما في عام ١٩٩٠م فظهر بنسبة حوالي (٠,٠٧٥٪).

إن بنك التنمية الإسلامي وهو الأكثر تأهيلًا، لاستخدام عقد المشاركة باعتباره بنكًا للتنمية، وليس بنكًا تجاريًا، بدأ منذ نشأته في التركيز على استخدام عقد المشاركة، ولكن هذا العقد لا يحظى في الوقت الحاضر بأكثر من (٣ ٪) من عمليات البنك.

إن المصارف الإسلامية مع الأسف الشديد بعد أن

ظهر لها عجزها عن استخدام المشاركة كبديل للتمويل بالفائدة لم تعمل بجدية على اختبار البدائل الأخرى من العقود الشرعية، وصرفت اهتمامها إلى إيجاد مخارج باستخدام أنواع من التصرفات تحقق لها ما توفره أداة الفائدة في البنوك الربوية، من قلة التكلفة، وآلية التعامل ـ بما تحققه من قلة الجهد والمرونة، والحصول على عائد محدد معروف ومضمون نسبيًّا ـ.

فاتجهت إلى التمويل على أساس سعر الفائدة، ولكن في ظل غطاء من عملية البيع أو الشراء وقد أدى هذا السلوك بالإضافة إلى تعويق الوصول إلى الأهداف المشار إليها في أول الحديث، إلى عجزها عن منافسة البنوك الربوية ؛ إذ من الطبيعي أن يكون وصولها إلى سعر الفائدة كعائد على الاستثمار بطريق غير مباشر أو طبيعي، لا يمكنها من كفاءة الأداء التي بها تستطيع اللحاق بالبنوك الربوية، ولذلك يوجد مبرر كاف للاعتقاد بأن المصارف الإسلامية سوف تبقى ـ ما لم تغير سلوكها ـ عاجزة عن منافسة البنوك الربوية، مما يبرر التخوف بجدية على مستقبل المصارف الإسلامية.

تغير الواقع:

إن المصارف الإسلامية لا يمكن أن تحقق أهدافها

إلا إذا غيرت الواقع المصور فيما سبق، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بما يأتي :

١ ﴿ الإيمان الصادق الذي يظهر أثره على العمل بموعود الله الذي لا يتخلف ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢،٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

٢ ﴿ التحرر من روح العمل في البنوك الربوية، ومن طريقة التفكير السائدة فيها، وذلك بقبول التخلي عن آلية العمل، وعن الإصرار دائمًا على الحصول على عائد محدد معروف سلفًا عند إجراء المعاملة، وذلك يوجب التخلي ـ كهدف واضح ـ عن الالتفاف على التمويل بالفائدة عن طريق الحيل والمخارج والاقتناع بالصورة الشكلية الشرعية للمعاملة دون اعتبار لجوهرها.

٣ ﴿ العمل بجدية لاختبار وتجربة البدائل الشرعية المتاحة التي لم تطبق أو طبقت على نظام ضيق، والعمل على تطوير البدائل الشرعية التي جرى تطبيقها ومحاولة التغلب على عوائقها وسلبياتها، وفي هذا الصدد يبدو عقد السلم وعقد الاستصناع بديلين واعدين في التمويل الشرعي، وهذان العقدان ظلا طوال القرون الماضية، وعلى مساحة العالم الإسلامي يقومان بدور كبير في تمويل

حاجات الإنتاج، سواء الزراعي أو الصناعي، كما أنهما في الوقت الحاضر يعملان في مجال واسع في التجارة العالمية باسم (PREPRODUCING PURCHASE) ويعتقد الكاتب أن العوامل التي ساهمت في تعويق تطبيق هذين العقدين بشكل جدي تتلخص في الآتي:

١ ﴿ اكتشاف المصارف الإسلامية لطرق تمكن ـ في نظرها ـ من الالتفاف على تحريم التمويل بالفائدة، كالمعاملة المخترعة حديثًا باسم (المرابحة للآمر بالشراء)، حيث أمكن للمنظرين التلفيق بين مذهبين مختلفين، وصياغة صورة جديدة للتعامل تمكنت المصارف الإسلامية بموجبها من التمويل بفائدة تعويضية، ولكنها لا تزال الفائدة البسيطة.

٢ ﴿ التأثر بروح المذهبين الحنفي والشافعي التي أنتجت وضع قيود عديدة على استخدام هذين العقدين، وهذه القيود تواجه المنظرين والعاملين في حماسهم لاستخدام هذين العقدين.

٣ ﴿ المبالغة في الطواعية لمقتضيات الصناعة الفقهية ؛ حيث إن الفكرة السائدة في بعض المذاهب بأن هذين العقدين جاءا على خلاف القياس من شأنها أن تؤثر في إفساح المجال لتطبيق العقدين، إذ إن ما جاء على

خلاف القياس لا يقاس عليه، ولا يتوسع في تفسيره، وفي رأي الكاتب أنه لكي يقوم هذان العقدان بدورهما لا مناص من مراعاة ما يأتي:

أ) إن مبادئ الصياغة والصناعة الفقهية مع إنزالها المنزلة اللائقة بها والاعتراف بخطرها وأهميتها ودورها في تطوير الفقه الإسلامي لا ينبغي أن ينظر إليها على أنها خارجة عن مجال الاجتهاد والمراجعة في ظل نصوص الوحي وروح الشريعة.

ولم يرد في النصوص ـ على ما يظهر للكاتب ـ ما يقضي بأن عقد السلم ورد على خلاف القياس، فلا مانع من اعتباره أصلًا في ذاته يمكن أن يقاس عليه.

ب) الإفادة من الإمكانيات التي يتيحها المذهب الحنبلي مكملًا باجتهادات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وهي تحرر عقد السلم من كثير من القيود، وتتيح له مجالًا واسعًا للتعامل، ولا سيما في نطاق تمويل مشاريع الإنتاج.

ج) أن يتم تطبيق عقد السلم وعقد الاستصناع بصورة تدريجية حيث يستخدمان في تمويل إنتاج السلع النقدية، وفي التعامل مع المنتجين في البلاد التي توفر سهولة التعامل وتوفر ضماناته كاليابان وتايوان وماليزيا.

فإذا تعودت المصارف على تطبيق هذا العقد وعركته تجاربها أمكن نقله بسهولة للتعامل مع البلدان الإسلامية الأقل تقدمًا.

لكي نقدر مدى كفاءة المعاملة في صورة عقد السلم والاستصناع لا بد أن تكون أمام أنظارنا الصورة التالية:

١ ﷺ بالعقدين يتم استخدام المال في وظيفته الطبيعية بتوجيهه لعملية النمو الاقتصادي، وذلك باستخدامه مباشرة لمواجهة حاجات الإنتاج.

٢ ﷺ على خلاف عقد المشاركة وهو من عقود الأمانة، فهذان العقدان يمكن الحصول فيهما على ضمانات الوفاء، فينكسر بذلك عائق مهم ظل يواجه عقد المشاركة.

٣ ﷺ يتفوق هذان العقدان على عقد الأمانة، سواء في صورة القرض بالفائدة كما تستعمله البنوك الربوية، أو في صورة المرابحة للآمر بالشراء، أو بيع العينة أو بيع الوفاء كما تستعمل في المصارف الإسلامية، وذلك بتجنب مشاكل التضخم السريع.

٤ ﷺ يتيح هذان العقدان للمصرف الحصول على عائد يزيد على ثمن الزمن؛ إذ يقبل متلقي التمويل أن يدفع

مقابلًا لضمان التسويق سلفًا قبل الإنتاج، ومقابلًا للتأمين عن تغير الأسعار، وبذلك يتاح للمصرف الإسلامي فرصة الحصول على عائد من استخدام أمواله يزيد عن العائد الذي يحصل عليه البنك الربوي، فتتهيأ للمصرف الإسلامي إمكانية منافسة البنك الربوي.

وبالله التوفيق.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد
فقد طلب مني فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز
الضريح التعريف به فأقول وبالله التوفيق
بأني منذ عرفت المذكور لم أعرفه بغير الصلاح
والاستقامة وحسن التوجه، وأرجو أنه
يكون ممن جمع به الفقه في الدين، و
الإحسان في العمل، وأنه يكون من
الصالحين بخير كذلك، وبالله حسبه
وبالله التوفيق وصلى الله على سيدنا
ونبينا محمد وآله وصحبه وكتب الفقير إلى
عفو ربه ومغفرته صالح بن عبد الرحمن
الحصين في ١٤٢٨/٦/٢٩

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الشيخ سعد الحصين	٥
مقدمة المؤلف	٧
نسب الشيخ صالح كاملاً	٩
نشأة الشيخ	١٢
الحديث عن والده الشيخ عبد الرحمن (حاشية)	١٢
دراسة الشيخ الابتدائية والتحاقه بدار التوحيد	١٣
دراسة في كلية الشريعة بمكة	١٤
تدريسه بالمعهد العلمي بالرياض	١٤
من تلاميذه الشيخ عبد المحسن العباد	١٤
مع الشيخ محمد الشويعر	١٤
زيارته للشيخ عبد الله الغديان	١٥
ذهابه إلى مصر ودخوله معهد الدراسات العربية	١٦
تتلمذه على السنهوري	١٦
حديث الشيخ صالح عن نفسه	١٦
قصته مع السنهوري	١٦

الموضوع	الصفحة
كلام القرضاوي عن الشيخ صالح	١٧
علم الشيخ بالأنظمة والقانون	١٧
شهادة الشيخ صالح الناصر له	١٨
مكوثه في مصر خمس سنوات	١٩
رسالة الماجستير في تصرف الفضولي	١٩
شغفه بالقراءة	١٩
كلام الشيخ عبد العزيز بن باز عنه	١٩
عمله مستشارًا في وزارة المالية	١٩
لم يطلب وظيفة من الوظائف	٢٠
تعيينه رئيسًا لهيئة التأديب	٢٠
محاولته التخلص من الوظيفة	٢٠
استشارة الملك خالد له في الوزراء	٢١
اتصال أحد الوجهاء على والدته لتهنئتها بمنصب ابنها وجوابها في أنه لا يصلح إلا للإمامة	٢١
استخفاؤه عن المهنئين له بالمنصب	٢١
قصة شراء أرض عرضتها الدولة للبيع	٢٢
امتناعه حين طُلب لرئاسة الحرمين وشروط قبوله لها بعد الإلحاح	٢٢
قصته مع صاحب سيارة الأجر (التكسي)	٢٣
لم يشتر سيارة قط ولا جوالاً ولا كمبيوتر..	٢٤

الموضوع	الصفحة

إهداؤه لصاحب جمعية آلة التصوير التي اشتراها أخوه سعد ٢٤
شكره لولي الأمر حين أعفاه من المنصب ونسبة عمله كله إليه ٢٤
دعاؤه لولاة أمره في كل سجدة ٢٥
بين الشيخين صالح الحصين وصالح الفوزان ٢٦
تدريسه في المعهد العالي للقضاء ٢٧
طلب كتابة ذكرياته واعتذاره ٢٨
الذهاب به لحفل تحفيظ القرآن وجوابه لأحفاده ٢٨
التوقف عن وجبة العشاء ٢٩
مجالستي له في مكة ٢٩
(أجعلها تؤمني لا تغمني) ٣٠
قصته مع الإفريقي ٣٠
مشاركتي له في الغداء ٣٠
بيته في مكة عبارة عن شقة لا تتجاوز خمسين مترا ٣٠
قصته مع ابنتي لجين ٣١
شفاعاته للناس ٣١
حين منحت له وزارة المالية بيتًا في الإسكان قال رجل أنا أحق بها فما كان من الشيخ... ..... ٣٢
طلب المشرف على رسالتي الدكتوراه أن يكون المناقشة الشيخ صالح ٣٣
طلب رأيه حول ما أكتبه قبل طباعته ٣٣

الموضوع	الصفحة

محبته لمقدمة مسائل صلاة الليل ٣٤
مسألة حقوق الطبع والتأليف محفوظة ٣٥
الإغماء نعمة من الله ٣٦
ترداده لمقولة ابن تيمية: (العدل واجب لكل أحد على كل أحد في جميع الأحوال) ٣٦
لزومه للمسجد بين العشائين إلا لعارض ٣٧
إجراء عملية له في القلب ٣٧
قوله ليس عندي من الدنيا شيء أصحب لأجله ٣٨
كلام عن الشيخ عبد الله بن جاسر ٣٨
معاملته لجميع الناس على أحسن ما يُظهرونه ٣٨
جماعة التبليغ والجهاد ٣٨
اختلاف القادة الأفغان ومحاولة الإصلاح ٣٨
كلام الشيخ ابن باز حوله ٤٠
كتابة الشيخ سعد حوله ٤٠
لم يسمع من الشيخ أنه ذكر أحدًا بسوء ٤١
المشاورة في مقالاته التي كتبها ٤١
إهداؤه كتبه ٤١
خاطرات حول المصرفية الإسلامية وأحرف الحزن التي سطرها فيه ٤٢
عمله في إحدى الهيئات الشرعية عشر سنين ٤٣

الموضوع	الصفحة

كلام الشيخ سعد ٤٣
نصيحته لي في عدم الدخول في ٤٣
هل يوجد بنك إسلامي؟ ٤٤
قصته مع صاحب مصرف في منى ٤٥
إجادة الشيخ للغة الفرنسية والإنكليزية ٤٧
قصته مع المترجم ٤٨
كلام البسام في أن الشيخ من جنود الله المجهولين ٤٨
نيله لجائزة الملك فيصل ٤٩
رسالته لأحد أحفاده (كن كما أنت) ٤٩
رفضه لأخذ شيء مقابل قسمة تركة الملك سعود ٥٠
سبب اشترائه أرضًا في منطقة المدينة النبوية وكيف تم بيعها ٥٠
صلاته بين العشاءين عدة تسليمات مع تمام ركوع وسجود ٥١
كان يتنقل بين المشاعر في الحج مشيًا ٥١
قصته مع الافتراش ٥٢
زيارتي له في مرضه الأخير ودعاؤه رَحِمَهُ اللَّهُ ٥٤
بين الشيخ فهد الزكري والشيخ صالح ٥٥
اتصالي بالشيخ سعد لأعزيه في أخيه وجوابه العجيب ٥٥
أبناء الشيخ عبد الرحمن الحصين كان حسابهم مشتركًا ... ٥٥
كلام الشيخ سعد وأنه لا يذكر أنهم أخرجوا الزكاة لعدم
حلول الحول ٥٦

الموضوع الصفحة

وفاة الشيخ والصلاة عليه ودفنه ٥٦
كلام ابنه عبد الله حين عزّيته في أن والده طلب المسامحة
من أصحابه! ٥٧
اقتراح في إنشاء مؤسسة خيرية باسم الشيخ وأخويه ٥٧
أبرز كُتُب الشيخ ومطبوعاته ٥٨
السبب في إلحاق ما كتبه الشيخ حول عقد السلم ودوره في
المصرف الإسلامي في هذا المؤلف ٦٠
كتابة الشيخ: (مشاكل البنوك الإسلامية «عقد السلم ودوره
في المصرف الإسلامي») ٦١
فهرس الموضوعات ٧٥